دروس في سيرة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته

دروس في سيرة
الإمام المهدي (عليه السلام)
وغيبته

اكرم الفضلي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

سورة القصص

الاهداء

منك وإليك، روحي لك الفدا

صاحب العصر والزمان(عليه السلام)

هوية الكتاب

اسم الكتاب :..... دروس في سيرة الامام المهدي (ع) وغيبته

بقلم: .....أكرم الفضلي

السنة : ٢٠١٠م- ١٤٣١هـ

المطبعة: ..... الكلمة الطيبة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٤٢ لسنة ٢٠٠٩

المقدمة

ان الحديث عن الإمام المهدي(عليه السلام) يعني التكلم عن بعدين، البعد العقائدي والبعد التاريخي.

والذي سنسلط الضوء عليه هو البعد التاريخي للوقوف على تاريخ الإمام(عليه السلام) وسيرته وغيبته، والبحث في السفارة والوكلاء والمهمة التي القيت على عاتق منظومة الوكالة في عصر غيبة الإمام(عليه السلام).

كما سنستعرض اهم المصادر والكتب التي عنيت بقضية الإمام(عليه السلام) لذلك قمنا باعداد هذا الكتاب لغرض الاستفادة منه دروساً مختصرة عن الإمام وغيبته(عليه السلام) ولسد الحاجة في هذا الباب.

وقد استفدنا في اعداد هذا المشروع من كتاب "دروس في تاريخ عصر الغيبة" وغيره.

سائلين المولى القدير ان يتقبل منا هذا القليل قربة خالصة لوجهه الكريم.

اكرم الفضلي
المتشرف بجوار العتبة العلوية المقدسة
عطلة صيف ١٤٣٠ هـ الخامس من رجب

الدرس الاول

المصادر التاريخية لعصر الغيبة

المقدمة

لأجل استيفاء البحث في الخلفيات التاريخية لواقعة الغيبة ودور السفارة والوكالة فيها، لابد من استعراض مصادر ومنابع البحث، وهي بشكل عام على ثلاثة أقسام:

١ - الكتب التي عالجت موضوع الغيبة.

٢ - الكتب الرجالية.

٣ - الكتب التاريخية.

استعراض المصادر التاريخية لعصر الغيبة

لاشك في أن البحث في حادثة غيبة الإمام الثاني عشر(عليه السلام) ينطلق من بعدين: عقائدي، وتاريخي.

فإن الوقوف على الأرضية التاريخية لغيبة الإمام الثاني عشر(عليه السلام) والبحث في سفارة الوكلاء ومراحل تكوينها وسيرها التكاملي والدور الذي لعبته في عصر الغيبة الصغرى، يعتبر من عمدة مباحث البعد التاريخي.

ولأجل الوقوف على تاريخ الإمام الثاني عشر(عليه السلام) وتاريخ عصر الغيبة يمكن الاستعانة بالكتب التالية:

١ - الكتب المدونة في موضوع الغيبة.

٢ - الكتب الرجالية.

٣ - الكتب التاريخية.

١ - الكتب المدونة في موضوع الغيبة:

ويمكن لأول وهلة أن نصنف الكتب التي دونت حول الغيبة من الناحية التاريخية إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الكتب التي دونت في عصر الأئمة: وقبل عام (٢٦٠هـ)

لقـــد قام أصحاب الائمة(عليهم السلام) حتى عـام (٢٦٠هـ /٨٧٤م) وهو عام وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) بتأليف أربعمائة كتاب عرفت بـ (الأصـول الأربعمائـة)، وشـكلت هـذه الأصـول والكتـب أسـاس الجوامع الروائية للشيعة في القرنين الرابع والخامس، حيث نقلت في بعـضها أحاديـث عـن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمـة(عليهم السلام) حـول غيبـة الإمام المهـدي(عليه السلام) وعلى سبيل المثال يمكـن الإشـارة إلى أحاديـث علي بن مهزيار (سفير الإمام الجواد والهادي(عليهما السلام)، والحسن بـن محبوب والفضل بن شاذان في هذا الشأن.

١. علي بن مهزيار الأهوازي

علي بن مهزيار الأهوازي من أصحاب الإمام الجواد(عليه السلام) المقربين، تولى الوكالة له وللإمام الهادي(عليه السلام) في الأهواز وترك في هذا المجال كتابين، هما: الملاحم والقائم، حيث تناول فيهما موضوع غيبة الإمام وقيامه بالسيف، وقد نقل ثقة الاسلام الكليني والشيخ الصدوق معلومات هامة عن أساليب الاتصال بالإمام والنشاط السري للإمامية استناداً إلى كتب إبراهيم ومحمد ابني علي بن مهزيار، اللذين كانا من وكلاء الإمام الثاني عشر(عليه السلام) في الأهواز.

٢. الحسن بن محبوب

دوّن الحسن بن محبوب (المتوفي عام ٢٢٤هـ /٨٣٨م) في موضوع الغيبة كتاب المشيخ، واثبت فيه عدة حكايات منسوبة للأئمة(عليهم السلام)، إلا أن هذا الأثر عبثت به أيدي الزمان، وقد نقل عنه في المصادر الإمامية المتوفرة بين أيدينا.

٣. الفضل بن شاذان

الفضل بن شاذان الأزدي النيشابوري، أحد أشهر علماء الإمامية، كانت له منزلة خاصة عند الإمام العسكري(عليه السلام)، وقد جمع كتاباً باسم الغيبة، ويبدو أنه نقل أكثر مطالبه من كتاب الحسن بن محبوب.

وبما أن وفاة الفضل بن شاذان كانت قبل نحو شهرين من وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) اي عام (٢٦٠هـ)، فقد استند إلى كتابه العديد من الباحثين نظير الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة، كما لخص بهاء الدين النيلي المتوفي (بعد ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨م) ما كتبه الفضل بن شاذان في كتابه الذي أسماه بـ الغيبة. ويبدو أن سلسلة من الكتب: نظير: كفاية المهدي إلى معرفة المهدي تأليف مير لوحي (من اعلام القرن الثاني عشر للهجرة) وكشف الإستار تأليف الميرزا حسين النوري (المتوفي عام ١٣٢٠هـ) قد ألفت على غرار كتاب الغيبة للفضل بن شاذان النيشابوري.

الطائفة الثانية: الكتب التي دونت في فترة الغيبة الصغرى

لقد دونت آثار في عصر الغيبة الصغرى (٢٦٠-٣٢٩هـ) أو ما يقرب منه اعتماداً على ما دون فيما مضى، وكان مصنفوا هذه الآثار من الفقهاء أو النشطاء في العمل السري للسفارة التي كان على رأسها الإمام المهدي(عليه السلام) وقد ادرجوا فيها معلومات في غاية الأهمية لا يمكن الظفر بها في الكتب التاريخية التي دونت في تلك الفترة، وكنموذج لذلك نشير إلى الكتب التالية:

١. ((الغيبة))، تأليف إبراهيم بن إسحاق النهاوندي المتوفي (٢٨٦هـ/٨٩٩م):

ادعى نيابة الإمام الثاني عشر(عليه السلام) في بغداد عام (٢٦٢هـ/٨٧٦م)، وقد عكس في كتابه المذكور آراء الغلاة حول الغيبة، وقد نقل النعماني المتوفى (٣٦٠هـ/٩٧٠م) فيما بعد ما دوّن في كتاب النهاوندي في كتابه المعروف ((الغيبة)).

٢. ((الغيبة والحيرة))، تأليف عبد الله بن جعفر الحميري المتوفى بعد (٢٩٣هـ/٩٠٥م):

وتتجلى أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان من حواريي الإمامين: الهادي والعسكري(عليهما السلام) وكان في زمن الغيبة الصغرى من خدام النائب الأول والثاني للإمام المهدي(عليه السلام) ومع الأسف فقد تلف هذا الكتاب.

٣. ((الإمامة والتبصرة من الحيرة))، تأليف ابن بابويه المتوفى (٣٢٩هـ/٩٤٠م):

وقد تلف هذا الكتاب أيضاً لكن نجله الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ/٩٩١م)، والشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) نقلا منه الشيء الكثير.

٤. ((الكافي))، تأليف ثقة الإسلام الكليني المتوفى (٣٢٩هـ/٩٤٠م):

خصص قسماً كبيراً من كتابه الكافي لمسألة الغيبة تحت عنوان ((الحجة))، وقد ذكر معلومات هامة حول الغيبة والوضع العام

للإمامة ما بين (٢٦٠-٣٢٩هـ) مؤكداً على أهمية دور نواب الإمام الثاني عشر(عليه السلام) في تلك البرهة الزمنية، كما اثبت في كتابه القيم ((الكافي)) أحاديث متعددة عن الأئمة(عليهم السلام) حول غيبة الإمام الثاني عشر(عليه السلام) رواها عن:

الحسن بن محبوب المتوفى (٢٢٤هـ / ٨٣٧م)

عبد الله بن يعقوب العصفري المتوفى (٢٥٠هـ / ٨٦٤م)

الحسن بن سماعة المتوفى (٢٦٣هـ / ٨٧٧م)

ومما يجدر ذكره أنّ وكلاء الإمام المهدي(عليه السلام) كانوا المصدر الأساسي للمعلومات التي دونها الكليني في كتابه الكافي.

الطائفة الثالثة: الكتب التي دونت في موضوع الغيبة بعد عام (٣٢٩هـ):

تعتبر حادثة الغيبة الكبرى في عام (٣٢٩هـ) انعطافاً كبيراً في تاريخ الشيعة الإمامية.

وقد أثار طول الغيبة الكبرى شبهات عديدة كانت تنتظر إجابات حاسمة لأمر الذي دعا إلى وضع تآليف تختلف في أسلوبها عما مضى من الكتب ومن هنا تصدى فقاءه الشيعة وأعلامهم لهذا الأمر وخلفوا آثار قيمة.

وتعتبر الآثار التي دونت في هذه الفترة أساساً للعقائد الإمامية في موضوع الغيبة.

ومن جملة هذه الآثار:

١. ((الغيبة)) للنعماني المتوفى (٣٦٠هـ / ٩٧٠م):

محمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بـ ((ابن أبي زينب)) والنعماني من أهالي مدينة النعمانية في محافظة واسط بالعراق. وقد غادرها إلى بغداد، حيث تتلمذ على يد ثقة الإسلام الكليني وابن عقدة المتوفى (٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، وألف كتاب ((الغيبة)) إبان الحيرة التي اعترت الشيعة بعد استشهاد الإمام العسكري(عليه السلام)، حاول فيه إثبات ضرورة غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) عبر نقل أحاديث عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة(عليهم السلام) عن غيبة المهدي(عليه السلام)، وقد استقى أكثر معلوماته من القدماء الذين كتبوا في هذا الحقل دون أن يأخذ بنظر الاعتبار توجهاتهم العقائدية أو المذهبية.

ويتجلى الدور الريادي للنعماني بعد المسعودي المتوفى (٣٤٦هـ / ٩٥٤م) في أنه أول من فسر أحاديث أئمة أهل البيت(عليهم السلام) الدالة على أن للقائم غيبتين من كتاب الكافي، وذكر فيه أن الغيبة الأولى قصير أمدها تستمر حتى عهد النائب الرابع للإمام(عليه السلام)، اي عام ٣٢٩هـ، والغيبة الثانية تبتدأ من السنة ذاتها بعد وفاة السفير

الرابع، وقد شكل هذا التفسير أساس الفكر الشيعي في موضوع الغيبة.

٢. ((كمال الدين وتمام النعمة)) للشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ / ٩٩١م):

صنف محمد بن علي بن بابويه المعروف بـ ((الشيخ الصدوق)) كتاباً نفيساً في الغيبة، استند فيه إلى أمهات المصادر الشيعية المدونة قبل عام ٢٦٠هـ.

وقد تمكن الشيخ الصدوق بحكم أن أبيه من كبار الفقهاء ووكيل للإمام(عليه السلام) في قم، أن يحصل على معلومات ثمينة حول العلاقات الخفية بين الوكلاء والإمام(عليه السلام) بواسطة النواب الأربعة، وقد ذكر الحافز الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب، لما قال:

((فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيما خلفت ورائي من أهل وولد وأخوان ونعمة إذ غلبني النوم فرأيت كأني بمكة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا في الشوط السابع عند الحجر الأسود استلمه واقبله... فأرى مولانا القائم صاحب الزمان واقفاً بباب الكعبة... فسلمت عليه.

فرد(عليه السلام)، ثم قال: لم لا تصنف كتاباً في الغيبة حتى تكفي ما قد همك؟

فقلت له: يا ابن رسول الله، قد صنفت في الغيبة أشياء.

فقال(عليه السلام): ليس على ذلك السبيل، آمرك ان تصنف الآن كتاباً في الغيبة، وإذكر فيه غيبات الأنبياء(عليهم السلام).

ثم مضى(عليه السلام).

فانتبهت فزعاً إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى إلى وقت طلوع الفجر، فلما أصبحت ابتدأت في تأليف هذا الكتاب ممتثلاً لأمر ولي الله وحجته مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه)).

وكتاب (كمال الدين وتمام النعمة) هو في الواقع دائرة معارف روائية صنف فيه المواضيع التي تمت إلى الإمام الثاني عشر(عليه السلام) في ترتيب خاص.

٣. ((الفصول العشرة في الغيبة))، تأليف الشيخ المفيد المتوفى (٤١٣هـ / ١٠٢٢م):

محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، أحد كبار المتكلمين ومن مراجع التقليد للشيعة الإمامية، راج في زمانه التعمق في المباحث الكلامية للغيبة وانطلاقاً من ذلك فقد صنف خمس رسائل في الدفاع عن غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) كما وضع تأليفاً مستقلاً في هذا الصدد تحت عنوان (الفصول العشرة في الغيبة)، وقد زودنا هذا الأثر

بمعلومات قيمة حول الظروف التاريخية التي أحاطت بحياة الإمام المهدي(عليه السلام) قبل عام (٢٦٠هـ).

٤. ((الإرشاد))، تأليف الشيخ المفيد:

انتهج الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد أسلوب الكليني والنعماني في نقل الحديث.

وأثبت فيه قبل كل شيء وجود الإمام الثاني عشر (عليه السلام) ثم انبرى لتوجيه طول عمر الإمام بالنسبة لطول عمر الإنسان العادي.

جدير بالذكر إن كتاب الإرشاد قد تطرق أيضاً إلى سائر الأئمة(عليهم السلام) إضافة إلى الإمام المهدي(عليه السلام).

٥. ((الغيبة))، تأليف الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ / ١٠٦٧م):

محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة أو الشيخ الطوسي، وهو عالم بارز ومشهور تناول مسألة الغيبة في آثاره، وأهم أثر له في هذا المجال هو كتاب ((الغيبة))، الذي استعان فيه بالأحاديث والأدلة العقلية في إثبات وجوب غيبة الإمام الثاني عشر(عليه السلام).

وذكر معلومات تاريخية موثقة أخذها من كتاب مفقود هو أخبار الوكلاء الأربعة تأليف أحمد بن نوح البصري حول النشاط السري لوكلاء الإمام الأربعة.

ويعد هذا الأثر مصدراً أساسياً لمصنفي الإمامية حول غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) ناهيك عن أن المحقق المجلسي المتوفى (١١١١هـ / ١٦٩٩م) استفاد منه كثيراً.

ب. الكتب الرجالية:

تعد الكتب الرجالية من أهم مصادر التاريخ للإمام الثاني عشر(عليه السلام) نظراً لتكريس مباحثها في السيرة العلمية للرواة وجامعي الأخبار وتوجهاتهم العقائدية والسياسية وميزان وثاقتهم.

هذه الكتب والمصادر تكشف لنا عن طبيعة العلاقة القائمة بين الأئمة(عليهم السلام) وأصحابهم ووكلائهم لاسيما علاقة الإمام المهدي(عليه السلام) بوكلائه، وعلاقة وكلائه بأعلام الإمامية في عصر الغيبة الصغرى، ومن أهم الكتب الرجالية المؤلفة في القرنين: الرابع والخامس الهجري، هي:

١ - معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين تأليف محمد بن عمر الكشي.

٢ - الفهرست تأليف الشيخ الطوسي.

٣ - الرجال تأليف الشيخ الطوسي.

٤ - فهرست أسماء مصنفي الشيعة ويعرف برجال النجاشي، تأليف أحمد بن العباس النجاشي المتوفى (٤٥٠هـ/١٠٨٥م).

ج. الكتب التاريخية:

ثمة مطالب كثيرة في هذا الخصوص نجدها في مصادر التاريخ العام، وسوف نشير هنا إلى أسماء بعض المؤلفين وآثارهم:

((الطبري)) المتوفى (٣١٠هـ / ٩٢٢م) عاش في عهد الغيبة الصغرى، ومن آثاره المعروفة كتاب تاريخ الأمم والملوك المشهور بتاريخ الطبري، ويخلو هذا الكتاب من أي إشارة لنشاط وكلاء الإمام المهدي(عليه السلام) مما يشعر باتباعهم منتهى الحيطة والحذر والسرية في تعاملهم بينما رصد الطبري التحرك السياسي لسائر فرق الشيعة، كالقرامطة والإسماعيلية حتى تأسيس دولتهم عام (٢٩٦هـ / ٩٠٨م).

كما رصد أيضاً استغلال تلك الفرق للحديث النبوي حول القائم المهدي، بغية تحقيق مآربها في الوصول إلى سدة الحكم طيلة الغيبة الصغرى.

((المسعودي)) المتوفى (٣٤٦هـ) عاش في عهد الغيبة الكبرى وعكس في مؤلفاته نظير مروج الذهب والتنبيه والأشراف وإثبات الوصية جانباً من الممارسات القمعية للحكام العباسيين تجاه الأئمة وأتباعهم وتأثيرات تلك السياسة في وقوع الغيبة.

((ابن الاثير)) المتوفى (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) نقل في كتابه الكامل في التاريخ معلومات مفيدة حول دور الغلاة لاسيما الشلمغاني في تعميق فجوة الخلافات بين بعض وكلاء الإمام(عليه السلام).

ولو تجاوزنا تلك المصادر والمآخذ، فقد صنفت في العصر الحاضر العشرات من التصانيف في موضوع الغيبة وتاريخها والسيرة السياسية للإمام المهدي(عليه السلام) بحثاً وتمحيصاً وتحقيقاً، وكشفت الكثير من الجوانب الغامضة التي أحاطت بالتاريخ السياسي للإمام(عليه السلام) وسفارة وكلائه السرية، وأزاحت النقاب عن الحقائق التاريخية في ذلك العصر.

الدرس الثاني

نظرة إجمالية إلى سيرة الإمام المهدي(عليه السلام)

المقدمة

أطبق المؤرخون ومحدثو الفريقين على أن الإمام محمد المهدي(عليه السلام) هو الإمام الثاني عشر للشيعة، وآخر وصي للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولد في سامراء فجر جمعة الخامس عشر من شعبان عام (٢٥٥ أو ٢٥٦هـ)، ووالده الإمام الحسن العسكري، وأمه نرجس، كانت من أورع النساء وأتقاهن.

من أشهر ألقابه المهدي ما نقش على خاتمه ((أنا حجة الله وخاصته)).

وله صفات وخصوصيات يمتاز بها عن الأدعياء المزيفين.

سيرة الإمام المهدي(عليه السلام):

تنقسم سيرة حياته إلى عدة أدوار:

١. الاختفاء، ودام خمس سنوات، أي منذ ولادته وحتى استشهاد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، وكانت أخباره خلال هذه

المدة ظلت تعتبر من الأسرار التي لا ينبغي البوح بها لتربص الأعداء به وقد ظفر برؤيته عدد محدود من خاصة أصحاب الإمام.

٢. الغيبة الصغرى واستمرت سبعين عاماً، أي منذ استشهاد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) وحتى عام ٣٢٩هـ، وهي سنة وفاة آخر نائب من نوابه الأربعة.

وتم في هذا الدور طرح مشاكل الشيعة ومسائلهم على الإمام(عليه السلام) عن طريق نوابه الأربعة، الذين كانوا على جانب كبير من الزهد والتقوى والعلم بين الشيعة، وهم:

أ - عثمان بن سعيد (من ٢٦٠ هـ حتى ٢٦٥هـ).

ب - محمد بن عثمان (من ٢٦٥هـ حتى ٣٠٥هـ).

ج - الحسين بن روح النوبختي (من ٣٠٥هـ حتى ٣٢٦هـ).

د - علي بن محمد السمري (من ٣٢٦هـ حتى ٣٢٩هـ).

٣. الغيبة الكبرى، ابتداءت من عام ٣٢٩هـ إلى الآن، وستستمر حتى تتهيأ مقدمات زعامته للأرض.

في هذا الدور جعل الإمام(عليه السلام) لنائبه شروطاً وضوابط عامة وكل من توفرت فيه تلك الضوابط من كل الجهات وفي كافة الأبعاد يعتبر نائباً عنه في إمامة الأمة في أمور الدين والدنيا.

هذا المنصب فوض من قبل الإمام المهدي(عليه السلام) وسائر الأئمة لذلك العالم الحائز لتلك الشروط.

سوف نستعرض في هذا الفصل سيرة الإمام(عليه السلام) منذ ولادته والحوادث التي رافقتها حتى مراحل متأخرة من عمره الشريف بنحو الإيجاز، قبل أن نستعرض بتفصيل تاريخ الإمام الثاني عشر(عليه السلام).

١. ولادته:

ولد الإمام المهدي ابن الإمام الحسن العسكري(عليهما السلام) في مطلع فجر الجمعة الخامس عشر من شعبان عام (٢٥٥هـ/٨٦٩م) في سامراء، وقيل: (٢٥٤ ، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨)، وهذا الاختلاف يدل على مدى السرية والتكتم في أنباء ولادته.

وتعد ولادة المهدي(عليه السلام) من مسلمات التاريخ، وقد صرح بذلك إضافة إلى أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وأعلام الشيعة ومؤرخيهم ومحدثيهم- العديد من محدثي أهل السنة ومؤرخيهم، وقد سردت بعض الكتب المعنية بشأن البحث والتحقيق أسماءهم وعناوين مؤلفاتهم فبلغ ٦٥ عالماً.

٢. اسمه:

اسمه محمد، وهو اسم جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أطبق المؤرخون والمحدثون كافة على أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) سماه بهذا

الاسم، وهذه التسمية لا تخلو من دليل، بل تفصح عن حقيقة وهي أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)كما أخرج بظهوره البشرية من الضلالة والجهل، فهكذا نجله الثاني عشر سيخرجها بظهوره من الظلمات والضلال أيضاً.

٣. ألقابه:

من ألقابه المشهورة: ((المهدي))، ((القائم))، ((المنتظر)) ((الحجة))، ((الخلف الصالح))، ((بقية الله))، ((المنصور)) ((صاحب الأمر))، ((ولي العصر))، ((صاحب العصر))، وأشهرها المهدي، وثمة وجه لكل لقب، مثلا: لقب بالمهدي، لأنه يهدي إلى الحق، وبالقائم لأنه يقوم بالحق، وبالمنتظر لأن المؤمنين ينتظرون قدومه، وبالحجة لأنه حجة الله على خلقه.

وكان نقش خاتمه(عليه السلام) ((أنا حجة الله وخاصته)) حسب ما أورده الكفعمي في اعيان الشيعة ج٢ ص٤٤.

٤. أمه:

وردت روايات كثيرة بشأن اسم أمه، فذهب المسعودي إلى أن أمه جارية تدعى نرجس، وذكر الشهيد الأول أنها مريم بنت زيد العلوية الفاضلة، وقال الشيخ الطوسي (وفق إحدى الروايات) إن اسمها ريحانة وأضاف: وقيل نرجس، وصيقل (صقيل)، وسوسن،

وذكر الشيخ المفيد اسم نرجس فحسب، وقد ورد في رواية أن حكيمة عمة الإمام العسكري ذكرت ذلك الاسم، وذهب بعض المحققين إلى أنه من الممكن أن يكون اسمها نرجس، وأما سائر الأسماء ما خلا صقيل فقد اطلقتها عليها حكيمة بنت الإمام الجواد(عليه السلام)، إذ كان العرف السائد في ذلك الزمان هو إطلاق أسامي متعددة على الجواري ترحيباً بهن، يشار إلى أن نرجس وريحانة وسوسن أسماء أزهار، وقد ورد عن الشيخ الصدوق رواية تعضد هذا الاحتمال، حيث روى بسنده عن غياث بن أسيد، قال: ولد الخلف المهدي(عليه السلام) يوم الجمعة، وأمه ريحانة، ويقال لها نرجس، ويقال: صقيل، ويقال: سوسن، إلا أنه قيل لسبب الحمل صقيل إنما سمي صيقلاً أو صقيلاً لما اعتراه من النور والجلاء بسبب الحمل المنور.

وبغض النظر عن كل ما قيل فإن النقطة البالغة الأهمية هي أنها كانت من العظمة والرفعة بمكان، حتى أصبحت أماً لصحاب الزمان(عليه السلام)، وكانت حكيمة (هي عمة الإمام العسكري وعقيلة البيت الهاشمي) تخاطبها بقولها: ((أنت سيدتي وسيدة أهلي))، وبقولها ((بل أخدمك على بصري)) وقد اعتبرها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين(عليه السلام) والصادقين(عليهما السلام) أنها خيرة الإماء وأفضلهن.

وفي الختام نرى من المناسب أن ننقل رواية على لسان حكيمة عمة الإمام العسكري تتضمن تقريراً مفصلاً حول ولادة الإمام(عليه السلام).

وقد اشتهرت هذه الرواية بالوثاقة منذ زمن المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ .

روى الشيخ الصدوق عن حكيمة بنت الإمام الجواد(عليها السلام) أنها قالت:

بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي(عليه السلام)، فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه قالت: فقلت له: ومن أمه؟ قال لي: نرجس، قلت له: جعلن الله فداك ما بها أثر، فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجئت فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي، وقالت لي: يا سيدتي وسيدة أهلي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي، وقالت: ما هذا يا عمة؟ قالت: فقلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة قالت: فخجلت واستحيت فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاةِ ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت اتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان، وهي نائمة فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمد(عليه السلام) من المجلس، فقال: لا تعجلي يا عمة، فهاك الأمر قد قرب، قالت: فجلست وقرأت الم السجدة، ويس، فبينما أنا كذلك إذ

انتبت فزعة فوثبت إليها، فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أتحسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمة، فقلت لها: أجمعي نفسك وأجمعي قلبك، فهو ما قلت لك، قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة، فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به(عليه السلام) ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته إلي، فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي أبو محمد(عليه السلام) هلمي إلي ابني يا عمة، فجئت به إليه فوضع يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإشهد أن محمداً رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة(عليهم السلام) إلى أن وقف على أبيه، ثم أحجم.

ثم قال أبو محمد(عليه السلام): يا عمة أذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وأتني به، فذهبت به فسلم عليها ورددته فوضعته في المجلس، ثم قال: يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا، قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد(عليه السلام) وكشفت الستر لاتفقد سيدي(عليه السلام) فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمة استودعناه الذي استودعته ام موسى موسى(عليه السلام).

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست، فقال: هلمي إلي ابني فجئت بسيدي(عليه السلام)، وهو في الخرقة ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: اشهد ان لا اله إلا الله وثنى بالصلاة على

محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين حتى وقف على أبيه(عليه السلام) ثم تلا هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

٥. الولادة:

شاع قلق عميق في أوساط خلفاء بني العباس في عهد امامة العسكريين(عليهما السلام) منشأه الأخبار والاحاديث الكثيرة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام) التي تبشر بولادة ابن للإمام الحسن العسكري(عليه السلام) سيكون زوال ملك الجبابرة والظلمة على يديه وأنه سيملأ الارض قسطاً وعدلاً، ومن هنا كان الإمامان(عليهما السلام) ولاسيما الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) تحت المراقبة الشديدة من قبل الجهاز الحاكم للحيلولة دون ولادة نجله.

وللسبب ذاته ظلت ولادة الإمام المهدي(عليه السلام) في طي الكتمان ومخفية عن أعين الناس، فمن خصائص ذلك الإمام حسب ما قاله الإمام الرضا(عليه السلام) أنه ((خفي الولادة والمنشأ)) كما ورد في عدة من الاحاديث والأخبار ان المهدي(عليه السلام) يشبه ابراهيم وموسى(عليهما السلام) إلى حد بعيد.

يذكر أن أحداً لم ير الإمام المهدي(عليه السلام) بعد ولادته سوى خواص أصحاب الإمام العسكري(عليه السلام)، وذلك في فترات متقطعة، وسوف نشير إلى أسماء من رآه في فترة اختفائه من أصحاب الإمام في الفصول اللاحقة إن شاء الله.

٦. أوصافه وخصوصياته:

ذكر المحدثون والمؤرخون في كتبهم أوصاف الإمام المهدي(عليه السلام) وخصوصياته استناداً إلى روايات كثيرة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام)، وإليك بعض تلك الأوصاف: أنه شاب أكحل العينين، أزج الحاجبين، أقنى الأنف، كث اللحية، على خده الأيمن خال، وعلى يده اليمنى خال، أبيض اللون مشرب بالحمرة، مندحق البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، وأنه شاب مربوع، حسن الوجه، يسيل شعره على منكبه، يعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه.

ومن أوصافه أيضاً أنه ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)ومن أولاد فاطمة الزهراء(عليها السلام)، وتاسع إمام من نسل الإمام الحسين(عليه السلام)، وخاتم الأوصياء والمنجي الخاتم، وقائد البشر وله غيبتان: غيبة صغرى وكبرى، وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

هذا هو المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في أوصافه وخصوصياته مع عشرات العلامات التي ستتحقق قبل ظهوره وفي

أثناء ذلك وبعده، وكل هذا يكشف عن حقيقة وهي أن المهدي إمام معين ومنصوص، وكل كلام غير هذا فهو وهم وسراب ليس إلا.

والمهدي(عليه السلام) ما زال غائباً عن الأنظار، فهو خليفة الحق، والولي المطلق وخاتم الأولياء ووصي الأوصياء ومنجي البشر وإمامهم، ومصلح أعظم، ولما يظهر يستند إلى الكعبة ويحمل لواء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يحي دين الله، ويطبق أحكامه، وسيظهر بالسيف، ويطهر الأرض من الظلم والجور، ويملأها قسطاً وعدلاً.

أدوار حياته وسيرته:

يمكن تقسيم مراحل حياته إلى ثلاثة أدوار: الاختفاء، والغيبة الصغرى، والغيبة الكبرى، وأما عصر الظهور وما بعد الظهور فيمكن أن نعده من مراحل حياته الشريفة(عليه السلام) حيث يتطرق إليه في المباحث العقائدية.

أ - دور الاختفاء:

يبدأ هذا الدور منذ ولادته(عليه السلام) ٢٥٥هـ حتى وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) ٢٦٠هـ، وقد عاش خلال هذه السنوات في كنف والده(عليه السلام).

وكان للإمام العسكري وظيفتان أساسيتان، أحداهما المحافظة على نجله من كيد الجهاز الحاكم، والثاني إثبات وجوده والإعلان عن

إمامته، وقد قام باعبائهما على أتم وجه، إذ حفظ ابنه، وصرح بإمامته بمرأى ومشهد من بعض أصحابه ما سنحت له الفرص، حيث تمكن في ظل ظروف سادها القمع والإرهاب من الإعلان عن ذلك أمام ثلة قليلة من خواص أصحابه كانوا قد اطلعوا على نبأ ولادته، نظير: أبي هاشم الجعفري، وأحمد بن اسحاق، وحكيمة، وخديجة، عمتي الإمام العسكري(عليه السلام).

روي عن معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري، أنهم قالوا: ((عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي(عليه السلام) ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلاً، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما أنكم لا ترونه بعد يومكم هذا)).

وقد عزم الإمام العسكري(عليه السلام) على أن يرسل ابنه إلى مكان آمن، وتنقل الوثائق التاريخية إن الإمام أخفى ابنه في سامراء، ثم المدينة، وظل الإمام المهدي(عليه السلام) هناك تحت رعاية جدته لأبيه، وحسب نقل الصدوق فإن الإمام العسكري(عليه السلام) أرسل ابنه بعد أربعين يوماً من ولادته إلى جهة مجهولة، ثم أعاده إلى أحضان أمه.

وطبقا لنقل المسعودي فإن الإمام العسكري(عليه السلام) استدعى من أمه (حديث) الحج عام ٢٥٩هـ ومنذ ذلك الحين اتجهت (حديث) مع حفيدها صوب مكة لأداء الحج برعاية أحمد بن المطهر أحد حواريي الإمام(عليه السلام)، وما أن انهوا مناسك الحج حتى قفلوا راجعين

إلى المدينة وهناك اختفى الإمام(عليه السلام)، وقد وردت بعض الروايات التي تؤيد ذلك، روى أبو هاشم الجعفري، قال: ((قلت لأبي محمد(عليه السلام) جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل، قلت: يا سيدي، هل لك ولد؟ فقال: نعم، فقلت: فإن بك حدث فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة)).

وحسب ما أفاد بعض الباحثين فإن الاحتمال السائد هو أن الإمام(عليه السلام) أمضى معظم طفولته في المدينة، لأن الإمام العسكري(عليه السلام) قد أحس بالخطر يواجه حياة أبنه في العراق.

وسوف نتعرض في المباحث الآتية بمزيد من التفصيل إلى الإجراءات التي قام بها الجهاز العباسي لإلقاء القبض على نجل الإمام(عليه السلام).

ب - الغيبة الصغرى:

بدأت الغيبة الصغرى باستشهاد الإمام العسكري(عليه السلام) ٢٦٠هـ ودامت حتى ٣٢٩هـ، أي: نحو ٧٠ عاماً، وسميت هذه الغيبة بالصغرى نظراً لقصر أمدها، وكان لها دور هام في تمهيد الشيعة لمسألة الغيبة الكبرى.

وبالرغم من أن الإمام كان مختفياً عن الأنظار، إلا أنه(عليه السلام) لم يقطع خلال الغيبة الصغرى صلته بالشيعة، بل كان على إتصال بهم عن طريق نوابه (سفرائه) الخاصين، وكانت الشيعة تطرح

مشاكلها ومسائلها على الإمام(عليه السلام) بواسطة هؤلاء النواب، ويتم الحصول على الإجابة من قبلهم، وقد يصل الحال أن يتشرف البعض برؤية الإمام(عليه السلام) عن طريقهم.

وكان هؤلاء النواب -الذين عرفوا بالنواب، أو السفراء الأربعة- على جانب كبير من الزهد والتقوى، ومن أعلام الشيعة، وهم على حسب الترتيب:

١ - أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري، من سنة ٢٦٠هـ حتى وفاته قبل عام ٢٦٧هـ وقيل: عام ٢٦٥هـ.

٢ - أبو جعفر، محمد بن عثمان العمري، منذ وفاة السفير الأول حتى عام ٣٠٥هـ.

٣ - أبو القاسم، الحسين بن روح النوبختي، من عام ٣٠٥ هـ حتى عام ٣٢٦هـ.

٤ - أبو الحسن، علي بن محمد السمري، من عام ٣٢٦، حتى ٣٢٩هـ.

وسيأتي في الفصول اللاحقة إن شاء الله الحديث عن سيرتهم، ونشاط كل واحد منهم، والدور الذي قاموا به في بلورة تشكيلات السفارة والوكالة السرية، والتمهيد لقبول الشيعة لواقع الغيبة الكبرى.

ج - الغيبة الكبرى:

تشكل الغيبة الكبرى ثالث مرحلة من حياة الإمام المهدي(عليه السلام) حيث ابتدأت بعد انقضاء الغيبة الصغرى، واستمرت إلى يومنا هذا، وستستمر حتى حصول الاقتضاء التام بأمر الله تعالى.

هذه المرحلة هي ساحة رحبة لبلاء الإنسان وغربلة المؤمن واختبار الإيمان والعمل، في هذه المدة الطويلة سوف يبقى حجة الله يسطع نوره وراء سحاب الغيبة، كاحتجاب الشمس وراء السحاب.

وكما أن الغيبة تنقسم إلى مرحلتين، فهكذا السفارة والنيابة، حيث تنقسم إلى نيابة خاصة في زمن الغيبة الصغرى، ونيابة عامة في زمن الغيبة الكبرى.

وفي النيابة الخاصة عين الإمام(عليه السلام) أشخاصاً كنواب عنه، وكان كل نائب يعرف للناس من يأتي بعده.

أما في النيابة العامة فيتم الاختيار على أساس ضابطة كلية طرحها الإمام(عليه السلام)، وكل من توفرت فيه هذه الضوابط بنحو أفضل وفي مختلف الأبعاد، يعرف بنائب الإمام(عليه السلام)، ويتولى الأمور كنائب عن الإمام(عليه السلام).

فقد نقل الشيخ الطوسي، والشيخ الصدوق، والشيخ الطبرسي، عن اسحاق بن يعقوب، التوقيع الشريف الصادر عن

مولانا صاحب الزمان(عليه السلام) وهو: ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله)).

كما نقل الطبرسي في كتابه الاحتجاج رواية عن الإمام الصادق(عليه السلام)، قال فيها: ((وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لامر مولاه، فللعوام أن يقلدوه)).

الدرس الثالث

أسباب ودوافع الغيبة الصغرى

المقدمة

استعرض هذا الفصل -بغية الوقوف على أسباب الغيبة والحصول على تحليل جامع- الوضع الفكري والاجتماعي للعصر العباسي الثاني على اعتبار غيبة صاحب الزمان(عليه السلام) وكان من أهم خصوصيات الوضع الفكري لذلك العصر هي:

١ - انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء.

٢ - نفوذ الأتراك.

٣ - العزل والنصب المكرر.

٤ - نفوذ النساء في جهاز الخلافة.

٥ - ظلم الوزراء والأمراء.

٦ - الفتن الداخلية.

٧ - ثورة صاحب الزنج.

٨ - ثورات العلويين.

٩ - نيل بعض المناطق الخاضعة للاستقلال الذاتي.

١٠ - تبدل حقيقة وماهية الفتوحات.

استعراض الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في العصر العباسي على مشارف الغيبة:

١. ضرورة البحث:

إن البحث عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية لهذا العصر إبان الغيبة الصغرى ضروري من أجل الوقوف بشكل أفضل على التاريخ السياسي لعصر الغيبة الصغرى، والوصول إلى تحليل موضوعي جامع بشأن هذا الدور، والوقوف على أسباب وخلفيات غيبة الإمام الثاني عشر(عليه السلام) وبالتالي الوصول إلى عمق مواقف الإمام(عليه السلام).

٢. عصر العباسيين:

دامت خلافة بني العباس أكثر من خمسة قرون من عام (١٣٢هـ /٧٤٩م) حتى عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٦م)، وقد قام المؤرخون بتقسيم الخلافة العباسية إلى أربعة أدوار هي:

١ - العصر العباسي الأول، أو دور نفوذ الفرس (١٣٢هـ /٧٤٩م - ٢٣٢هـ /٨٤٧م).

٢ - العصر العباسي الثاني، أو دور نفوذ الاتراك (٢٣٢هـ / ٨٤٧م - ٣٣٤هـ / ٩٤٥م).

٣ - العصر العباسي الثالث، أو دور آل بويه من الفرس (٣٣٤هـ / ٩٤٥م - ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م).

٤ - العصر العباسي الرابع، أو دور نفوذ السلاجقة الاتراك (٤٤٧هـ /١٠٥٥م - ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).

وسوف نكرس البحث لدراسة العصر العباسي الثاني، اي من خلافة المتوكل (٢٣٢هـ)، أو عصر نفوذ الاتراك، وقبل ذلك العصر بقليل اي بدايات نفوذهم إلى جهاز الخلافة في عهد المعتصم (٢١٨هـ) وتغير مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء، حتى بداية الغيبة الصغرى (٢٦٠هـ).

٣. الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في هذا الدور:

ويمكن تقسيم خصوصيات ومزايا هذا الدور إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ - الوضع السياسي، ب - الوضع الاجتماعي، ج - الوضع الفكري

❖ الوضع السياسي:

١ - انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء:

اختيرت مدينة سامراء، أو سر من رأى عام (٢٢٠هـ) من قبل المعتصم العباسي لتكون مركز الخلافة الجديد، وقد انشأت بأمره عام (٢٢١هـ/٣٨٧م)، وفي السنة ذاتها انتقل إليها وجعلها مقراً لخلافته.

وذهب ابن الأثير إلى أن السبب وراء ذلك هو ريبة المعتصم بعسكره، وكتب يقول: وفي عام ٢٢٠ هـ توجه المعتصم إلى سامراء وبناها، ويعود سبب ذلك إلى قول المعتصم: ((إني اتخوف أن يصبح هؤلاء الحربية ضحية، فيقتلوا غلماني فإذا ابتعت لي هذا الموضع كنت فوقهم، فإن رابني رائب اتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم)).

ومنذ عام ٢٢٠ هـ حلت سامراء محل بغداد، كمركز للخلافة العباسية، وبقيت عاصمة للخلافة مدة ٥٩ عاماً، اي إلى عام (٢٩٧هـ).

وكانت سامراء قد احتضنت ثمانية خلفاء خلال تلك المدة (٢٢٠ - ٢٧٩هـ)، وهم:

١ - المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ).

٢ - الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ).

٣ - المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ).

٤ - المنتصر(٢٤٧- ٢٤٨هـ).

٥ - المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ).

٦ - المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ).

٧ - المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦هـ).

٨- المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ).

وفي عام ٢٧٩هـ خلف المعتضد المعتمد على سدة الحكم، فنقل مركز الخلافة إلى بغداد مرة أخرى، ولم تعد إلى سامراء أبداً.

٢ - نفوذ الاتراك وتسلطهم:

إن من أهم خصوصيات هذا الدور هو نفوذ الاتراك في كافة شؤون الحكم والمراكز الحساسة لاسيما العسكرية، الأمر الذي حدا إلى إطلاق عنوان عصر نفوذ الاتراك على العصر العباسي الثاني، ويعود سبب ذلك إلى ان ((ماردة)) أم المعتصم كانت من الجواري الترك، وقد لعبت دوراً هاماً في مجيئهم إلى سدة الحكم، وكان لها ميل

شديد نحوهم لأجل عدم ثقتها بالعسكر، ورغبة في التخلص من نفوذ الفرس المتفاقم حسب ما ذهب إليه بعض المحققين.

٣ و ٤ - العزل والنصب المتكرر ونفوذ النساء:

إن من معالم ضعف النظام السياسي وتدهوره، هو العزل والنصب المتكرر للخلفاء والمسؤولين دون مبرر، وبالطبع لا ينبغي التغافل عن دور النساء وأمهات الخلفاء المستبدات وتدخلهن في أمور العزل والنصب حيث لا يخفى على أحد الدور الذي لعبته زوجة المتوكل وأم المعتز في عزل ((المستعين)) وجلوس نجلها ((المعتز)) على سدة الحكم.

٥ - طغيان الوزراء والأمراء:

وكان أكثر الوزراء والأمراء العباسيين يفتقدون الكفاءة، ويتمادون في ظلم الرعية واهانتهم وقمعهم، وهضم حقوقهم، ونهب أموالهم ولم يكونوا يتورعون عن ارتكاب أي عمل.

٦ - الفتن والاضطرابات الداخلية:

عمت الفتن والاضطرابات في هذا الدور معظم أرجاء الدولة، وسوف نشير بنحو الإيجاز إلى عدد منها:

أ - اضطرابات بغداد:

وعلى الرغم من أن بغداد لم تكن مركز الخلافة في تلك الفترة إلا أنها شهدت فتناً واضطرابات كثيرة.

الأولى: عام ٢٤٩هـ:

في هذا العام رفع العسكر والشاكرية في بغداد لواء العصيان، والتف حولهم جمع من الناس مما ساعد على إذكاء الفتنة.

الثانية: عام ٢٥٢هـ:

قاد هذا العصيان العسكر في بغداد، مطالبين بدفع أجورهم، وقد سيطروا على جسر بغداد ونهبوا الحوانيت المحيطة به، وأشعلوا النار في بعضها.

ب - اضطرابات سامراء:

وقد وقع في سامراء عصيانان، الأول عام ٢٤٩هـ، والثاني عام ٢٥١هـ حيث هجم جماعة لم تعرف هويتهم على الزنزانات عام ٢٤٩هـ وأطلقوا سراح السجناء، وفي عام ٢٥١هـ، رفع الناس لواء العصيان في سامراء ونهبوا سوق صاغة الذهب، دون أن يتمكن حاكم المدينة من إخماد تمردهم.

ج - فتنة الخوارج:

بدأ نشاط الخوارج في هذا الدور عام ٢٥٢هـ بزعامة ((مساور بن عبد الحميد بن مساور شادي البجلي الموصلي))، ودام تمردهم أكثر من ١١ عاماً، أي (من ٢٥٢ حتى ٢٦٣هـ).

٧- تمرد صاحب الزنج:

لا شك أن عصيان صاحب الزنج كان من أخطر الحوادث التي رافقت هذا الدور (عصر الخلافة في سامراء)، وتم القضاء عليه في عهد المهتدي والمعتمد، حتى قيل بان الخطر الذي يهدد الخلافة العباسية من جانبهم أعظم من خطر الاتراك.

بدأ هذا التمرد في البصرة واتسعت رقعته حتى وصلت إلى بوابات بغداد، وهيمن على مساحة شاسعة من العراق، وطيلة هذه المدة كانت الخلافة العباسية تعاني من ضعف وفوضى.

في هذه الفتنة لقي العشرات مصرعهم، وهتكت أعراض ونواميس كثيرة، وأضرمت النيران في العديد من المدن.

وقد تزعم هذا التمرد صاحب الزنج في البصرة عام ٢٥٥هـ، واسمه (علي بن محمد) من بني عبد القيس، وذهب بعضهم إلى أنه فارسي اسمه الأصلي ((بهبود))، ولد في قرية (ورزنين) من قرى الري، وادعى كذباً أنه من أحفاد شهيد الإسلام الخالد زيد بن علي

بن الحسين(عليه السلام)، لكي يستقطب بذلك الرأي العام إلى جانبه، إذ إن الانتماء إلى أهل البيت كان منطلقاً لحوادث مصيرية في العالم الاسلامي، ورصيداً لضمان الانتصار، ورمزاً للثورة ضد الظلم والباطل.

وقد رد الإمام العسكري(عليه السلام) مقولة صاحب الزنج بقوله: ((صاحب الزنج ليس منا أهل البيت)).

وقد نشر صاحب الزنج العيث والفساد بين الناس طيلة ١٥ عام (١٤ سنة وأربعة أشهر)، حتى قتل عام ٢٧٠هـ، وهو إضافة إلى ادعائه الإنتساب إلى البيت العلوي، كان يدعي أنه قائد الزنوج العبيد.

٨ - ثورة العلويين:

نشبت في هذا الدور عدة ثورات عمت أرجاء العالم الاسلامي، قادها العلويون ورفعوا شعار الرضا من آل محمد، وكانت في الواقع نداء اعتراض على الظلم والجور، الذي مارسه الخلفاء ضد الرعية عامة والعلويين خاصة.

وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب غليظاً على جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، تحمل آل أبي طالب في زمانه مصائب لم يعهدوها من أي خليفة ظالم آخر قبله، فقد ضيق الخناق عليهم، وحاصرهم اقتصاديا، وحظر الإحسان إليهم، وكان يعاقب من تخطى ذلك أشد عقاب، وكان

الناس يجتنبون عن مد العون إليهم، خشية بطش المتوكل، وقد وصل الفقر والفاقة بهم حداً أن القميص يكون في جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر.

وفي الوقت نفسه كان المتوكل يصرف الملايين من الدنانير على مجالسه التي كانت تضم الغلمان والجواري الغانيات.

وقد أمر المتوكل عامله على مصر بأن يعامل العلويين وفقاً للبنود التالية:

أ - لا يسمح لأي علوي بامتلاك العقارات وركوب الخيل والسفر من الفسطاط إلى مدن أخرى.

ب - لا يسمح لأي علوي بامتلاك أكثر من عبد.

ج - لو رفعت شكوى ما بين علوي وغير علوي، فينبغي على القاضي أن يبادر إلى سماع دعوى غير العلوي أولاً، ومن ثم يوافق عليها دون إعلام العلوي بذلك.

كما منع المتوكل العلويين من زيارة قبر الحسين(عليه السلام)، والإقتراب من الكوفة، ولم يكتف بذلك، بل أمر بمحو قبر الإمام الحسين(عليه السلام)، وطمس معالمه عبر حرثه والزرع فيه، كما فتح المياه على قبر الحسين(عليه السلام)، ولكن المياه احاطت بالقبر الشريف ولم تغرقه ومنذ ذاك الوقت سمي بالحائر.

وكان يأخذ كل من اتهم بولائه لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) بالقتل والتنكيل ومصادرة أمواله، وقد بلغ من حقده وتحامله على الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) ان عبادة المخنث -وهو من جملة ندمائه- كان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو اصلع ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين -يحكي بذلك علياً(عليه السلام)- والمتوكل يشرب ويضحك.

وإذا تجاوزنا المتوكل فإن سائر الخلفاء العباسيين قد مارسوا بحق العلويين ظلماً وجوراً، ولم يهدأ لهم بال حتى سفكوا دماء أئمة الشيعة(عليهم السلام)، فقامت ثورات عددية في أماكن مختلفة منذ بداية خلافة المعتصم حتى نهاية خلافة المعتمد والتي دامت اكثر من نصف قرن، ونكتفي بسرد تلك الثورات وأسماء زعمائها منذ بداية خلافة المعتصم حتى نهاية خلافة المعتمد، والتي دامت أزيد من نصف قرن:

١. ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، كنيته أبو جعفر واشتهر بلقب الصوفي، قام في طالقان في عهد خلافة المعتصم، وبعد الحوادث التي وقعت بينه وبين عبد الله بن طاهر، ألقى القبض عليه عام ٢١٩هـ وأرسله إلى المعتصم، وكان قد دعا إلى الرضا من آل محمد، وذهب جمع من أتباعه إلى أنه مات بالسم.

٢. ثورة محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) كنيته أبو عبد الله، وكان

فارساً شجاعاً مقداماً وشاعراً، ولد في محلة السويقة بالقرب من المدينة، وكانت دار علي بن أبي طالب(عليه السلام)، خرج على المتوكل.

٣. ثورة يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) كنيته أبو الحسين، قام في الكوفة أيام خلافة المستعين عام ٢٥٠هـ، وكان زاهداً، متقياً، عابداً، عالماً، شجاعاً، مقداماً، بادر إلى زيارة قبر الحسين(عليه السلام) قبل أن يقوم، وهناك كشف النقاب عن أهدافه، ثم دخل الكوفة وأعلن ثورته.

٤. ثورة الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، قام في طبرستان عام ٢٥٠ هـ، فخضعت له، ثم استولى على آمل والري، وقد سعى للاستيلاء على جرجان عام ٢٥٧هـ، فنشبت هناك حروب، قتل فيها خلق كثير، وأخيراً وقعت جرجان في قبضته حتى وفاته عام ٢٧٠هـ.

٥. ثورة الحسن بن علي الحسني المعروف بالأطروش، خلف محمد بن زيد في حكومة طبرستان، ثم خلفه ابنه الحسن بن القاسم، الذي قتل في طبرستان على يد ((أسفار))، وقد دعا هؤلاء الثلاثة إلى الرضا من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

٦. ثورة محمد بن جعفر بن الحسن، قام في الري عام ٢٥٠هـ، ودعا الناس إلى الحسن بن زيد حاكم طبرستان، ولقد وقع اسيراً لما

قاتل اهل خراسان، فأرسلوه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في نيشابور، فأودعه السجن إلى أن مات فيه.

٧. ثورة احمد بن عيسى بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام) مع احد العلويين ويدعى ادريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام) قام في الري في يوم عرفة عام(٢٥٠هـ) بعد محمد بن جعفر السابق الذكر،ودعا الناس إلى الرضا من آل محمد،ثم قاتل عسكر محمد بن طاهر فدحره واستولى عليه.

٨. ثورة الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام) المعروف بالكركي،أو الكوكبي،قام بقزوين وزنجان عام(٢٥٠هـ)،وطرد عمال الحكومة فيها،وفي عام (٢٥٢هـ) استولى على الري برفقة صاحب الديلم وعيسى بن احمد بن علوي،فصالحه أهل الري على دفع مليوني درهم مقابل الانصراف عنها فوافق ،واخيرا في عام (٢٥٣هـ) تغلب عليه موسى بن بغا في قزوين فهرب إلى الديلم.

٩. ثورة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، قام في الكوفة عام ٢٥١هـ وطرد منها عامل الخليفة، فأرسل إليه المستعين ((مزاحم بن خاقان)) فاستولى على الكوفة وأضرم النيران فيها.

يقول المسعودي: ((اختفى لما تفرق عنه أتباعه)).

١٠. ثورة محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، وقد خلف الحسين بن محمد السابق الذكر، وقام في الكوفة، فاحتال عليه محمد بن طاهر وجعله والياً على الكوفة، وما أن قويت شوكته حتى ألقى خليفة أبي الساج القبض عليه، وأرسله إلى سامراء، فتوفي في السجن.

١١. ثورة علوي مجهول الاسم في نينوى من أرض العراق عام ٢٥١هـ وقد قاتله هشام بن ابي دلف في شهر رمضان، فقتل جماعة من أصحابه وفر إلى الكوفة.

١٢. ثورة اسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، قام في مكة عام ٢٥١هـ، ومات في نفس السنة، فخلفه أخوه الذي يكبره عشرون عاماً.

١٣. ثورة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) حيث قام في المدينة بعد إسماعيل بن يوسف.

١٤. ثورة علي بن عبد الله الطالبي المعروف بالمرعشي. قام في آمل عام ٢٥١هـ، حاربه أسد بن جندان وتغلب عليه، ودخل مدينة آمل.

١٥. ثورة أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا، قام في محلة بين برقة والإسكندرية عام ٢٥٥هـ، وادعى الخلافة، أرسل

أحمد بن طولون أمير مصر جيشاً لمحاربته، ولما اشتد وطيس الحرب انهزم أتباع ابن طباطبا وبقي هو وحده يقاتل، فثبت وقاوم حتى قتل، فبعث برأسه إلى ابن طولون، الذي أرسله بدوره إلى المعتمد.

١٦. ثورة علي بن زيد، وعيسى بن جعفر العلوي، قاما في الكوفة عام ٢٥٥هـ، فأرسل إليهما المعتز جيشاً، فانهزما بعد تفرق أصحابهما.

١٧. ثورة علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) قام في الكوفة عام ٢٥٦هـ واستولى عليها وطرد عامل الخليفة عليها، أرسل (المعتمد) إليه عسكراً إلا أنه مني بالفشل، فأرسل آخر، وفي هذه المرة قتل ذلك العلوي وجماعة من أصحابه، ووقع من نجا منهم في الأسر.

١٨. ثورة إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) المعروف بابن الصوفي، قام في مصر عام ٢٥٦هـ، فاستولى على (اسنا)، ثم انتشرت ثورته إلى سائر المدن فألقى والي مكة القبض عليه بعد ان طورد وبعثه إلى ابن طولون الذي جال به في المدينة، وسجنه ومكث فيه حتى أطلق سراحه، واستقر في المدينة وتوفي فيها.

٩ - الاستقلال الذاتي لبعض المناطق الخاضعة للدولة العباسية:

إن ما نقل عن الوضع السياسي للعباسيين كان يمت إلى أوضاعهم الداخلية، وأما الوضع السياسي للبلدان والمناطق الخاضعة لنفوذهم، فيمكن القول بأن أغلبها نال استقلالاً ذاتياً بنحو ان كثيراً من عمالهم في الامصار الاسلامية الواسعة لم يكونوا يدينون بالولاء للحكومة المركزية، فان أبدوا الرغبة اظهروا الطاعة والا فلا، وكانوا يشنون الحروب متى ما شاؤوا ودون اذن الخليفة، وهذا يعتمد إلى حد كبير على رغبتهم وميلهم في فتح البلدان واتساع رقعة نفوذهم.

ونذكر هنا -بغية الاحتراز عن التطويل- نذكر فقط أسماء المناطق التي تمتعت بالحكم الذاتي، وهي: الاندلس وشمال افريقيا وإيران ومصر وسورية والموصل.

١٠ - تبدل حقيقة الفتوحات واهدافها:

ابتعدت هذه الفتوحات عن الأهداف الأصلية التي رسمها الإسلام، فلا دعوة للإسلام لا قبل الحرب ولا بعدها، مع أن وجوب الدعوة من الوضوح بمكان في الشريعة، فقد كان الأسراء يقتلون خلافاً للموازين الإسلامية، وتقطع الأشجار وتضرم النيران في المدن.

وحاصل الكلام إن أهداف هذه الغزوات والحروب لم تكن إسلامية، بل كانت تدور حول محاور أخرى، نظير: المشاجرات السياسية، والبغض والعداء الشخصي وغيرها.

الدرس الرابع

الوضع الاجتماعي والفكري على مشارف الغيبة الصغرى

المقدمة

أما الوضع الاجتماعي فقد أشار إلى التصنيف الثنائي للمجتمع بلحاظ الوضع المادي والإقتصادي، كما قارن بين حياة اللهو والترف والإسراف للخلفاء والوزراء والأمراء في قصورهم وأعيادهم ومجالسهم الخاصة وبين حياة الفقر والبؤس للعامة.

وأما الوضع الفكري فقد أشار إلى أبرز خصوصيات ذلك الدور وهي الانعطاف الفكري المفاجيء للمتوكل من الاعتزال إلى أهل الحديث والقضاء على المعتزلة ووصول أهل السنة والجماعة إلى سدة الحكم وذكر أسباب ودواعي ذلك.

أ - الوضع الاجتماعي:

المراد بالوضع الاجتماعي هو بيان وضع الشرائح المختلفة للمجتمع بلحاظ الدين والعرق والمنزلة الاجتماعية، والقدرة والشوكة

والنفوذ، وصلة هذه الشرائح بعضها مع بعض، وبيان العادات والتقاليد والأعياد والاحتفالات والأساطير والمنازل والملابس والمأكولات والمشروبات، وغير ذلك من مظاهر المجتمع المنفتح.

لقد أدى عدم كفاءة الخلفاء -في هذا الدور- وانغماسهم في اللهو والفسق وليالي السمر والإسراف، الذي لا يقف عند حد، إلى تقسيم المجتمع إلى طبقتين: طبقة ثرية للغاية، وأخرى فقيرة معدمة، تشكل غالبية الناس وبلغ التفاوت الطبقي ذروته بين الخلفاء وعمالهم من جهة، وبين الرعية من جهة أخرى، وسنذكر بعض الشواهد.

١. اللهو:

اللهو قاسم مشترك بين الخلفاء العباسيين قاطبة، فالحكايات التي تنقل عنهم في اللهو والمجون وحفلات السمر ومجالس الأنس أوضح من أن تحتاج إلى شاهد أو مثال، وكتب التاريخ والأدب مترعة بها، فقد قضى خلفاء بني العباس معظم حياتهم المخزية بين أقداح الخمور وأحضان الغانيات والنديمات، وكانوا يفضلون أن تهدى إليهم خمور معتقة وجوارٍ غوانٍ.

فالمتوكل مثلاً قد بلغت الوقاحة به حداً أنه ناول الإمام الهادي(عليه السلام) كأس الخمر التي كانت بيده لما جيء بالإمام(عليه السلام) إليه، فقال(عليه السلام): والله ما خامر لحمي ودمي فاعفني منه فعفاه، ثم قال له: أنشدني شعراً أستحسنه فاعتذر الإمام(عليه السلام)، وقال: إني لقليل الرواية للشعر فألح عليه ولم يقبل له عذراً، فأنشده شعراً، فأخذ المتوكل يبكي

بكاء عالياً حتى بلت دموعه لحيته وبكى الحاضرون لبكائه، وتحول مجلس أنسه إلى عزاء.

٢. القصور:

لقد أولع خلفاء بني العباس ووزرائهم وعمالهم بتشييد القصور الفاخرة، وكانت تلك القصور أشبه بمدن كبيرة فيها روضات غناء وأنهار وأبنية عديدة وفارهة، وكان للمتوكل أكثر من قصر، ذلك أنه كلما فرغ من بناء قصر أمر بتشييد آخر، حتى بلغ مجموع ما أنفق عليها ٢٧٤٠٠٠٠٠٠درهم.

٣. الاحتفالات:

لقد استاثرت الاحتفالات ومجالس الانس والطرب باهتمام كبير لدى الخلفاء العباسيين، سواء في العصر الأول، أو العصر الثاني، ولم تكن للأموال التي تنفق على هذه المجالس حد ولا حصر، وإليك هذه الشواهد من كلا العصرين:

- أنفق المهدي العباسي (١٥٨ - ١٦٩هـ) في حفل زواج ابنه هارون من زبيدة ما يقرب عن ٥٠٠٠٠٠٠٠درهم، وقد ارتدت زبيدة في ليلة زفافها قميصاً مرصعاً بجواهر ملوكية لم تر العين مثلها من ذي قبل، حتى عجز أهل الخبرة عن تقييمها نظرا لثمنها الباهظ.

ولم يقف إسراف المهدي العباسي وتبذيره لبيت المال عند هذا الحد بل أنه اشترى ياقوتة حمراء بمبلغ ٣٠٠٠٠دينار، وهو ثمن غال جدا

في ذاك العصر، ثم أضاف عليها الكيس تلو الكيس من الذهب وأهداها إلى ابنه الهادي حينما قبل يديه.

- أنفق المتوكل في حفلة ختان أقامها على شرف ابنه عبد الله المعتز، أموالاً طائلة، وقد ذكر المؤرخون إن ما أنفق في تلك الحفلة بلغ ٨٦٠٠٠٠٠٠ درهم.

يقول المسعودي: ((أنه لم تكن النفقات في عصر من الأعصار ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل)).

٤. مجالس الأنس والطرب:

المجالس الليلية التي كان يعقدها العباسيون، والصلات التي كانوا يبذلونها دون حساب إلى الغلمان والجواري الغانيات والمطربات مجالس اللهو والشرب بلغت من الشهرة بحيث إنها أصبحت تمد قصص ألف ليلة وليلة، هذه المجالس تعج باللهو والفجور، وكانت قوصر الخلفاء محطاً للأنس، ومجالس شرب الخمر حيث يقضي فيها الخلفاء معظم أوقاتهم في السكر والطرب، ولم تقتصر هذه الحالة على قصور الخلفاء، بل عمت أيضاً قصور وزرائهم وأمرائهم التي أمست مكاناً لشرب الخمر والرقص والغناء، وقد قيل: الناس على دين ملوكهم.

ونقل الطبري بأن المتوكل لما فرغ من بناء قصر الجعفري، دعا المطربين والمهرجين إلى مجلسه وأغدق عليهم ٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم.

٥. العطايا:

كانت عطايا الخلفاء التي لا حدود لها من بيت المال لا تنحصر بالمطربات والراقصات في مجالس الطرب والشرب، بل شملت أيضاً أمهاتهم وأزواجهم، وكل من يمت إليهم بصلة، فقد منح المتوكل لأمه شجاع ٦٠٠٠٠٠ دينار سنوياً، وقد خلفت حين موتها ٥٠٠٠٠٠٠دينار ومجوهرات بقيمة ١٠٠٠٠٠٠ دينار، وبلغ ريع المحاصيل الزراعية ٤٠٠٠٠٠ دينار.

وقد جمعت أم قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز من وراء زوجها وابنها ثروة طائلة، وقد وجد عندها -بعد مقتل ابنها المعتز لعجزه عن دفع ٥٠٠٠٠ دينار لرواتب العسكر- ١٨٠٠٠٠٠ دينار وثلاثة صناديق مليئة بالجواهر من زمرد وياقوت، وجواهر ثمينة عز نظيرها، تقدر بـ ٢٠٠٠٠٠٠ دينار.

وبغض النظر عن كل ما قيل، فقد شملت صلات الخلفاء وهباتهم شعراء البلاط، أو من أطرأهم بشعر وأثنى على خلافتهم وجعلهم أئمة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، أو من نال من العلويين وتحامل عليهم.

وقد نقل ابن الاثير عن أبي الشمط أنه قال: ((أنشدت المتوكل شعراً ذكرت فيه الرافضة فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع علي أربع خلع، وخلع عليّ المنتصر وأمر لي المتوكل بثلاثة آلاف دينار،

فنثرت عليّ وأمر ابنه وسعداً الايتاخي أن يلقطاها لي ففعلاً)).

الكامل، ج٧، ص١٠١، هذه الأشعار هي:

ملك الخليفة جعفـــر للدين والدنيا سلامـــــه

لكم تراث محمـــــد وبعدلكم تنفى الظلامـــه

يرجو التراث بنو البنا ت ومالهم فيها قلامـــــه

والصهر ليس بـــوارث والبنت لا ترث الإمامـــه

ما للذين تنحـــــلوا ميراثكم إلا الندامـــــه

أخذ الوراثة أهلـــها فعلام لومكم علامـــــه

لو كان حقكم لمـــــا قامت على الناس القيامه

ليس التراث لغيركـم لا والإله ولا كرامـــــه

أصبحت من محبكـــم والمبغضين لكـــم علامـه

ثم نثر علي بعد ذلك لشعر قلته في هذا المعنى عشرة آلاف درهم.

هذا وقد أغدق المتوكل على المخنثين والمهرجين أيضاً، وخصهم بجوائز ثمينة.

٦. الأطعمة:

من خصوصيات الخلفاء العباسيين ويتبعهم الوزراء والأمراء، الحرص والولع بأنواع الأطعمة والأشربة والحلويات، وملء الموائد بأصناف الأواني الذهبية والفضية.

وقدر النفقة اليومية للمأمون بـ ٦٠٠٠ دينار يذهب معظمها إلى مطبخه وكان يُقدم لهارون الرشيد ثلاثون صنفاً من الطعام، كل يوم بتكلفة تبلغ ١٠٠٠٠ درهم، وراح بعض الخلفاء يحثون شعرائهم تعلى إنشادهم شعراً حول تلك الموائد الحافلة بأصناف الطعام، في وقت لا يبلغ معدل الإنفاق الشهري لكل اسرة متوسطة الحال في ذلك العصر سوى ٢٥ درهما، أي بمعدل درهم لكل يوم، بينما بلغ إنفاق المتوكل ومصارفه الشخصية في السنة نحو (٧٦٥٠٢٥٠٠) درهم.

ونرى من المناسب الإشارة إلى الفقر والحرمان الذي كانت تعانيه طبقات المجتمع لاسيما الفلاحين والعمال والمثقفين وأصحاب المهن والحرف، فكل ما تملك الطبقة المرفهة كان -في الواقع- من كد يمينهم وعرق جبينهم، إذ لولاهم لما بلغت تلك الطبقة ما بلغت إليه من الرفاه، كما أن الحركات والثورات التي تقدم الإشارة إليها تدل بوضوح على الوضع المزري الذي بلغه معظم الناس، لاسيما ثورة صاحب الزنج والقرامطة التي كانت -في الواقع- انعكاساً لظلم وحيف الطبقة الحاكمة، والفقر المدقع والبؤس والحرمان الذي كان يعانيه الناس، وكانت ثروات العالم الإسلامي الطائلة تذهب إلى

جيوب الغلمان والجواري الغانيات والراقصات والمطربات والمهرجين والمخنثين، وتنفق في مجالس الطرب والشرب الليلية المليئة بالفسق والفجور.

ب - الوضع الفكري:

إن ما هو جدير بالتأمل والاهتمام بلحاظ الوضع الفكري في هذا الدور هو تحول الاتجاه الفكري للمتوكل من الاعتزال، المذهب الرسمي للدولة إلى مذهب أهل الحديث، وما رافق ذلك من قمع المعتزلة والشيعة، واحتضان أهل الحديث المتمثل بأهل السنة.

وثمة أقوال عديدة في الاعتزال ومنشأه، حيث يعتقد بعض المحققين أنه ظهر في أواخر القرن الأول الهجري (العهد الأموي)، وذلك بعد انفصال واصل بن عطاء عن استاذه الحسن البصري (١١٠ - ١٢١هـ)، وكان العراق مهد ظهوره وتكامله، وكان الاعتزال يتألف من خمسة أصول.

وقد أفرط هذا المذهب في الاعتماد على العقل، فهو يشبه إلى حد بعيد المذهب العقلي الذي انبعث من أوربا في عصر النهضة.

وكان هذا المذهب حتى عصر المأمون في منأى عن الجدل والنقاش في المسائل السياسية، ثم بلغ أوج إزدهاره في عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) الذي احتضنه وجعله المذهب الرسمي للبلاد، ويرى بعض المحققين -استناداً إلى بعض الشواهد التاريخية- إن هدف المأمون

من وراء ذلك هو مواجهة الإمامة لدى الشيعة (المتمثلة آنذاك بالإمام الرضا(عليه السلام)، ودحض حججها، لكي يزيل بذلك أكبر خطر يواجه الخلافة العباسية.

كما أنه سعى إلى تحقيق ما يصبوا إليه عبر إجبار الإمام على قبول ولاية العهد من جهة، وترجمة الكتب اليونانية في الفلسفة والمنطق من جهة أخرى.

وكان يهدف من إجبار الإمام على قبول ولاية العهد، إظهار الإمام(عليه السلام) بمظهر المكب على المناصب الدنيوية والراغب عن الزهد، بينما كان يرمي بالاهتمام بحركة الترجمة إلى الحط من المقام الشامخ للإمام وإيصاد باب أهل البيت(عليهم السلام) إلا أن الإمام(عليه السلام) بمواقفه الحكيمة، وما تمتع به من عصمة وعلم إلهي، أفضح كافة المؤامرات التي استهدفته، فلم ير المأمون بداً من قتله(عليه السلام).

يقول أبو الصلت الهروي: ((إن المأمون إنما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده ليري الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله في نفوسهم، فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم، فيسقط محله عند العلماء وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والملحدين والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين له إلا قطعه وألزمه الحجة.

إلى أن قال: فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم.

وبعد أن اعتنق المأمون هذا المذهب، أجبر الناس على القول بخلق القرآن الذي نادت به المعتزلة.

وفي عام ٢١٨هـ طلب من عامله على بغداد اختبار القضاة والمحدثين في هذه المسألة، وعزل كل من خالفها، وأمر القضاة بأن لا يقبلوا شهادة كل من لم يعتقد بخلق القرآن ومعاقبته، وكان هذا اشبه -في الواقع- بتفتيش العقائد، ويعرف في التاريخ بمحنة القرآن.

ومن جملة وصاياه لولي عهده ((المعتصم)) إجبار الناس على قبول تلك المسألة وبالفعل فقد ضيق المعتصم الخناق على العلماء المخالفين لها، رغم أنه لم يصب حظاً من العلم، فكل عالم وقاض لا يتفق مع رأي المعتزلة، كان معرضاً للحبس والتعذيب.

وقد نهج الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) سياسة المعتصم في الدفاع عن المعتزلة، وشدد على ضرورة اعتناق عقائد المعتزلة، الأمر الذي أدى إلى تفاقم معاناة الناس لاسيما أهل بغداد، واضطرب الوضع غاية الاضطراب حتى قام أهل بغداد بثورة عارمة بزعامة (أحمد بن نصر الخزاعي) مطالبين بعزل الواثق إلا أنه سرعان ما أخمد الواثق هذه الثورة وقتل زعيمها بيديه، وبموت الواثق واعتلاء المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) منصة الخلافة، انتهج سياسة مغايرة تماماً لسياسة سلفه في الاتجاه، مماثلة لها في التشدد والتطرف وتقوم على دعم أهل الحديث، وقمع المعتزلة والشيعة.

كما تمكن في الوقت نفسه من إجهاض حركة العلويين الذين كانت لهم ميول اعتزالية واسعة.

وقد نهج المتوكل أساليب خاصة بغية الوصول إلى مآربه السياسية والقضاء على المعتزلة والشيعة، إذ حظر في البداية تفتيش العقائد المذهبية (المحنة)، الأمر الذي بدأ العمل به في عهد المأمون، وبتأييد من المعتزلة، وأطلق هو واتباعه شعارات ضد الشيعة.

ثم اتخذ إجراء آخر، وهو عزل (ابن الزيات) ومعاونيه من مناصبهم وتعيين (الجرجرائي) و (ابن خاقان) المعروفين بسياساتهم المتشددة تجاه الشيعة.

وأخيراً قام بتأسيس جيش جديد يدعى ((الشاكرية)) جمع عناصره من المناطق المشهورة بعدم ولائها للعلوية نظير سورية والجزيرة والجبل والحجاز، التي قامت ضد تفتيش العقائد ومحنة القرآن.

والى جانب كل هذا، قام المتوكل بسلسلة من العمليات التعسفية ضد الشيعة والعلويين، نظير تخريب ضريح الإمام الحسين(عليه السلام) الذي مر ذكره.

ومن جملة الحوادث التي اتفقت في ذلك العهد، تدوين الجوامع الروائية وصحاح أهل السنة، نظير مصنف ابن أبي شيبة المتوفى ٢٣٥هـ وصحيح البخاري المتوفى ٢٥٦هـ، وصحيح مسلم المتوفى ٢٦١هـ.

الدرس الخامس

الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة على مشارف عصر الغيبة

المقدمة

اتسم الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة وزعامتها في هذا الدور بمزايا خاصة.

فمن جملة التدابير التي اتخذها الأئمة(عليهم السلام) من الناحية الفكرية في هذه المرحلة هي حفظ وضبط أصول وأحاديث الشيعة، وإعداد أصحاب أخذوا على عاتقهم حل الأزمات والمشاكل المستعصية، وإعداد أصحاب أخذوا على عاتقهم حل الأزمات والمشاكل المستعصية، والمحافظة على الإسلام من كيد المنحرفين، والتوعية والإجابة عن المشاكل الفكرية والفقهية، وتوفير الأرضية المناسبة عند الشيعة لمسألة غيبة الإمام الثاني عشر(عليه السلام).

ومن الناحية السياسية، فإن الإمام أجبر قسراً على مغادرة المدينة والإقامة في سر من رأى، حيث وضع تحت المراقبة الشديدة،

وقد قام العسكريان(عليهما السلام) ببسط ودعم جهاز الوكالة من خلال انتهاج سياسة التقية.

ومن الناحية الاجتماعية، فإن الشيعة كانت تعاني بوجه عام من الفقر والضغط والكبت والحرمان، وعلى الرغم من فرض الحصار على الإمام(عليه السلام) ومنع الشيعة من الوصول إليه، إلا أن الإمام(عليه السلام) حظي بنفوذ واسع في أوساط الرعية والعلماء والأعيان وأهل الكتاب والأمراء والوزراء.

المدخل:

برز للشيعة في هذا الدور -من الناحية الفكرية- أعلام تتلمذوا عند الأئمة(عليهم السلام) الذين ألقوا عليهم الأصول فدونوها في كتبهم التي تعرف بالأصول الأربعمائة، كما أنهم(عليهم السلام) بينوا الخطوط العريضة للأصول العقائدية والفقهية وحثوا طلابهم على تدوينها في كتبهم.

أما من الناحية السياسية فقد كان الوضع حساساً ومتأزماً للغاية، إذ إزدادت وتيرة الضغوط على أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وأشخصوا إلى سامراء، ففرضت عليهم الإقامة الجبرية فيها وأخضعوا للمراقبة الشديدة، مما جعل اتصال قواعدهم الشعبية بهم أمراً في غاية الصعوبة، وفي هذه المرحلة بالذات تبلور منظومة الوكالة السرية، الذي وطد أركانها في عهد الإمام الصادق(عليه السلام) وبلغ أوجه في عهد العسكريين(عليهما السلام)، وكانت تنظيماتها معقدة للغاية.

وكان الإمام(عليه السلام) يبذل جهوداً حثيثة من أجل بسط ونشر وتوسيع قواعد هذا الجهاز عبر الاتصالات السرية المدروسة، وبالتالي حفظ الفكر الشيعي ودعمه ونشره.

وقد تعرض الأئمة(عليهم السلام) في هذا الدور إلى مزيد من الرقابة إلا ان هذا لم يحد من نفوذهم الواسع في اوساط عامة الناس.

روي عن رجل من بني حنيفة من أهل بست وسجستان، قال: "رافقت أبا جعفر(عليه السلام) في السنة التي حج فيها في أول خلافة المعتصم، فقلت له وأنا معه على المائدة، وهناك جماعة من أولياء السلطان: إن وإلينا -جعلت فداك- رجل يتولاكم أهل البيت ويحبكم وعليّ في ديوانه خراج، فإن رأيت -جعلن الله فداك- أن تكتب إليه كتاباً بالإحسان اليّ، فقال لي: لا أعرفه، فقلت: جعلت فداك، أنه على ما قلت من محبيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده فأخذ القرطاس وكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فان موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً وإن مالك من عملك ما أحسنت فيه فأحسن إلى أخوانك، واعلم إن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذر والخردل، قال: فلما وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري، وهو الوالي فاستقبلني على فرسخين من المدينة فدفعت إليه الكتاب فقبله ووضعه على عينيه، ثم قال لي: ما حاجتك: قلت: خراج عليّ في ديوانك، قال: فأمر بطرحه عني، وقال لي: لا تؤد خراجاً ما دام لي عمل، ثم سالني عن عيالي، فأخبرته بمبلغهم،

فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلاً، فما أديت في عمله خراجاً ما دام حياً ولا قطع عني صلته حتى مات".

أ. الوضع الفكري:

حظيت الشيعة في هذا الدور بمنزلة رفيعة من الناحية الفكرية والعقائدية، حيث وضعت اللبنات الأولى للمذهب في عهد الصادقين وصنفت الأحاديث في أصول وجوامع، ووضعت معايير لحفظ الأحاديث وتهذيبها من قبل سائر أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، كما تم إعداد فريق من الأصحاب للإجابة عن المعضلات والدفاع عن الكيان العقائدي والفقهي الشيعي أمام الفرق لاسيما أهل السنة الذين حظوا بدعم الخلفاء ومساندتهم.

إن حفظ الإسلام وثقافة الوحي وصيانتهما من طرائق الدهر وأهل الزيغ والانحراف، كان من أهم المسؤوليات التي نهض بها الأئمة(عليهم السلام)، وشكل هذا أبرز معالم هذا الدور، فقد قام العسكريان(عليهما السلام) بنشر الوعي بين الناس، واتخاذ مواقف حكيمة إزاء ما يتعرض له المجتمع الإسلامي من انحرافات فكرية بدء بالصوفية والواقفية، وانتهاء بالمفوضة والثنوية والغلاة، والإجابة عن المسائل الفقهية والمشكلات الفكرية للحيلولة دون وقوع الشيعة في مزالق ما يعرف بـ (محنة القرآن).

كتب الإمام الهادي(عليه السلام) إلى بعض شيعته ببغداد: "بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله عز وجل وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون".

ومن جملة ما قام به العسكريان(عليهما السلام) في هذا الدور، هو تمهيد أرضية فكرية مناسبة للشيعة للدخول في عصر الغيبة كصدور أحاديث عديدة بشأن الغيبة وولادة الحجة(عليه السلام)، وإرجاع الشيعة إلى الوكلاء وتأييد بعض الكتب الفقهية والروائية، والحد من الاتصال بهم مباشرة، والاقتصار على المراسلة للإجابة عن المسائل أحالتها إلى وكلائهم، وبهذه الصورة مهدوا الأرضية لتحمل ظروف وشرائط ما بعد الغيبة، والاتصال غير المباشر بالإمام، وهذا الأسلوب ذاته قد اتبعه الإمام الثاني عشر -كما يتضح لنا لاحقاً- في زمن الغيبة الصغرى ليهيء الشيعة لعصر الغيبة الكبرى بالتدريج.

ب. الوضع السياسي:

١. انتقال الإمامين العسكريين(عليهما السلام) من المدينة إلى سامراء والرقابة الشديدة عليهما:

استوحى الحكام العباسيون سياستهم حيال الإمامين العسكريين(عليهما السلام) في هذا الدور من السياسة التي انتهجها المأمون العباسي مع الإمام علي الرضا(عليه السلام) والتي أصبحت سنة مشؤومة لمن بعده من الحكام، وتتلخص في نقل الإمام إلى عاصمة الملك لمراقبة نشاطه، وتهميش دوره وعزله عن قواعده الشعبية، هذه السياسة مارسها المتوكل مع الإمام الهادي(عليه السلام) ومورست أيضاً مع الإمام العسكري(عليه السلام)، الذي فرضت عليه الإقامة الجبرية -كأبيه(عليه السلام)- في مدينة سامراء، وكان عليه الذهاب لدار الخلافة في كل اثنين وخميس.

وكانت التقارير التي ترفع إلى المتوكل، والتي تتحدث عن نشاطاته في المدينة المنورة، وميل الناس إليه، هي التي دعت إلى جلب الإمام الهادي(عليه السلام) إلى سامراء قسرا، وأخضاعه للمراقبة الشديدة وكان يبعث بين الحين والآخر من يباغت الإمام(عليه السلام) في منتصف الليل، ويفتش داره لمجرد سعاية بوجود أموال وأسلحة مخفية.

وقد تولى الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) الإمامة بعد أبيه الإمام الهادي(عليه السلام) وله من العمر ٢٢ عاماً، وكان تحت المراقبة أيضاً حتى استشهاده عن عمر يناهز ٢٨ عاماً في سامراء.

٢. أساليب الجهاد عند العسكريين(عليهما السلام):

تميز الجهاد السياسي للعسكريين(عليهما السلام) بأساليب وبأبعاد مختلفة ومتعددة، كالجهاد الفكري والعقائدي، أخذاً بسياسة التقية ونفوذ بعض العناصر إلى المناصب الحساسة في الحكومة من أجل الحفاظ على الشيعة والاهتمام بشؤونهم إلى دعم وحماية بعض الحركات الثورية، وأهم من كل ذلك بسط ونشر جهاز الوكالة السري الذي شيدت دعائمه في زمن الصادق(عليه السلام) وتوسع في زمن العسكريين(عليهما السلام)، وعلى أية حال لا بأس هنا من إلقاء نظرة خاطفة على التقية وأهميتها باعتبارها مفتاح فهم تاريخ أئمة الشيعة.

وحاصل الكلام فيها: إن التقية في الواقع شكل معقد من الجهاد، وهي السرية والخفاء "التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقيه له"، "تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له" "المؤمن علوي المؤمن مجاهد أما في دولة الباطل بالتقية، وفي دولة الحق بالسيف".

التقية رمز حياة الشيعة وبقائها طول التاريخ في مواجهة الطواغيت ويعد تاريخ تقية أئمة أهل البيت(عليهم السلام) مفتاحاً لفهم تاريخ التشيع، ومن دون ذلك لا يمكن تحليل حركة أئمة الشيعة(عليهم السلام)، وسنغض الطرف عن الاتهامات التي ألصقت بها، مثل: الجهل بالسياسة، والسذاجة، والضعف، والخوف، وحب الدنيا ونختم هذا الموضوع باستعراض مقتطفات من أقوال الإمام علي(عليه السلام)، والإمام

الهادي(عليه السلام) والإمام العسكري(عليه السلام)،يقول الإمام علي(عليه السلام) في خطبته الشقشقية: "أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم إن محلي منها محل القطب من الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا".

هذه هي التقية التي مارسها علي(عليه السلام) إذ صبر عندما كانت يده جذاء، وسكت عن حقه وانصرف إلى إعداد جيل واع وتمهيد الأرضية المناسبة لذلك.

فقد تمكن الإمام(عليه السلام) من إعداد قادته من صلب أبي بكر وسعد بن عبادة بعد ٢٥ عاماً من اقصائه عن الحكم، وليس هذا فحسب، بل أنه رجع هذه المرة ظافراً مرفوع الرأس، ومارس الزعامة بحكمة، وبتخطيط دقيق ومدروس، بعد أن كاد التاريخ يمحو اسمه، ولكن ذكره ما زال ينبض في قلوبنا حتى اليوم.

أما الإمام الهادي(عليه السلام)، فيقول لداود الصرمي: "يا داود لو قلت لك إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً".

فقد جعل ترك التقية في هذه الرواية مقروناً بترك الصلاة، ورفع وجوب التقية إلى مستوى وجوب الصلاة.

وجاء إلى الإمام العسكري(عليه السلام) رجل من الشيعة قد أرشد صاحبه إلى التقية لما أراد جهال العامة اختباره، فقال الإمام(عليه السلام) له: "أنت كما قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الدال على الخير كفاعله، لقد كتب الله لصاحبك بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا وموالينا ومحبينا حسنة وبعدد من ترك التقية منهم حسنة أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك بإرشادك إياها مثل ما له".

ومن الواضح إن كل هذا الثواب مترتب على التقية، وقد بلغ من أعمالها في هذا الدور مبلغاً أن الإمام(عليه السلام) يأمر شيعته بالكف عن إلقاء السلام خشية تعرضهم للخطر، وقد قال الإمام(عليه السلام) رجل من شيعته: "فإن لم تتق تقتل، فأما التقية والخفاء، وأما الموت والهلاك".

ج. الوضع الاجتماعي:

نتطرق في هذا المبحث إلى الوضع الاجتماعي للشيعة والقاعدة الشعبية لأئمة أهل البيت(عليهم السلام):

١. وضع الشيعة:

يتلخص الوضع الاجتماعي للشيعة في هذا الدور في الفقر والضغط والإقصاء عن المناصب، والأمر من كل ذلك الانقطاع عن الإمام(عليه السلام) أو -في الحقيقة- قلة الاتصال به(عليه السلام)، بالرغم من أن كثيراً من المدن أضحت مراكز شيعية.

١ - بلوغ الاتصال بالإمام حداً أدنى: إن فرض الرقابة الشديدة على الإمام(عليه السلام) من جهة، وإلحاق الأذى وتعذيب كل من يتصل به(عليه السلام) من جهة أخرى، أديا إلى تدني مستوى الاتصال به(عليه السلام)، الأمر الذي خلف تداعيات في أوساط الشيعة، حال الإمام(عليه السلام) دون استفحالها من خلال اتخاذ تدابير خاصة.

٢ - الضغط: تعرضت الشيعة في هذا الدور إلى الكبت والضغط، وقد أشرنا فيما سبق إلى جرائم المتوكل بحق الشيعة والعلويين، من تأسيس عسكر الشاكرية إلى هدم قبر الإمام الحسين(عليه السلام)، حتى أنه أوعز إلى عامله على مصر بإبعاد الطالبيين إلى العراق من أجل ممارسة المزيد من الضغوط عليهم، ومن ثم أبعدهم إلى المدينة عام ٢٣٦هـ.

كما حذر أهل الحجاز من مغبة الاتصال بهم ودعمهم مالياً، وقد تعرض كثير من الناس للعقاب جراء مخالفتهم ذلك، وذكر أبو الفرج الأصبهاني إن السياسة التي انتهجها المتوكل أدت إلى التعامل معهم بقسوة وعزلهم عن أهل المدينة وحرمانهم من أدنى متطلبات الحياة.

٣ - الإبعاد عن المناصب: يقول المسعودي: "عزل المتوكل اسحاق بن إبراهيم وكان يتقلد الصيمرة والسيروان لكونه رافضياً"، وقد أقصي الكثير من مناصبهم للسبب ذاته، كما ورد صراحة بأن السبب وراء ذلك هو الاتصال بالإمام(عليه السلام).

٤ - الحرمان من الإمكانات الاقتصادية: لقد صادر المتوكل فدك وكانت عائداتها -حسب ما كتبه ابن طاووس- تبلغ ٢٤٠٠٠ دينار ومنحها لأحد أعوانه وهو عبد الله بن عمر بزيار، وكما مرت الإشارة إليه فإن المتوكل حذر أهل الحجاز من الاتصال بالعلويين أو دعمهم مالياً، يقول أبو الفرج الاصبهاني: "منع المتوكل آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ومنع الناس من البر بهم وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشيء وإن قل إلا أنهكه عقوبة وأثقله غرماً".

٢. الموقع الاجتماعي للإمام(عليه السلام) ونفوذه:

كان النفوذ المعنوي لأئمة الشيعة(عليهم السلام) يتفاقم على الرغم من جميع العراقيل التي كانت تضعها الحكومة، واتسع هذا النفوذ حتى عم قصور الخلفاء أنفسهم، ومال إليه كثير من الناس لاسيما الوزراء والأمراء.

نفوذ الإمام الهادي(عليه السلام):

سنشير هنا إلى نفوذ الإمام(عليه السلام) في أوساط البلاط العباسي والعلويين، وأهل الكتاب، وأهل المدينة، والشيعة:

١. نفوذه(عليه السلام) في البلاط العباسي:

"مرض المتوكل من خراج خرج به، فأشرف منه على الموت فلم يجسر أحد أن يمسه بحديدة فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد(عليه السلام) مالاً جليلاً من مالها.

وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل -يعني أبا الحسن- فسألته فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك، فقال: ابعثوا إليه، فمضى الرسول ورجع بالعلاج..... فبرأ المتوكل من علته".

كما أرسل المتوكل يحيى بن هرثمة إلى المدينة لإشخاص الإمام الهادي(عليه السلام) إلى سر من رأى على أثر وشاية، فرحل الإمام(عليه السلام) مع أهل بيته فتكفل يحيى بأموره ودهش من تقواه، مجتازاً به المفازة حتى وصلوا بغداد، يقول اليعقوبي: "فلما كان بموضع يقال له الياسرية نزل هناك وركب اسحاق بن إبراهيم لتلقيه فرأى تشوق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته، فاقام إلى الليل ودخل به في الليل، فاقام ببغداد بعض الليلة، ثم نفذ إلى سر من رأى".

قال يحيى بن هرثمة: "فلما قدمت إلى مدينة السلام بدأت باسحاق بن إبراهيم وكان على بغداد، فقال: يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله(عليه السلام)، والمتوكل من تعلم وإن حرضته عليه قتله وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) خصمك، فقلت: والله ما وقفت منه إلا

على أمر جميل، فصرت إلى سامراء فبدأت بوصيف التركي وكنت من أصحابه، فقال لي: والله لئن سقط من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون الطالب بها غيري، فتعجبت من قولهما".

وقد بلغ نفوذ الإمام(عليه السلام) حداً أن البلاط كانوا يقومون احتراماً له كلما جاء إلى المتوكل، وكانت تفتح له الأبواب، وترفع الستائر دون أي لبث، أو انتظار أو عذر.

٢. نفوذه(عليه السلام) في أوساط الأعيان:

دعي الإمام(عليه السلام) إلى مجلس وليمة أقامها أحد الخلفاء، فلما حضر الإمام(عليه السلام) سكت الحاضرون احتراماً له.

٣. نفوذه(عليه السلام) في أوساط العلويين:

يقول محمد بن الحسن الأشتر العلوي:"كنت مع أبي بباب المتوكل وأنا صبي في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي إلى جندي إلى غير ذلك، وكان إذا جاء أبو الحسن(عليه السلام) ترجل الناس كلهم حتى يدخل، فقال بعضهم لبضع: لم نترجل لهذا الغلام؟ وما بأشرفنا ولا أكبرنا ولا بأسننا ولا بأعلمنا؟ فقالوا: والله لا ترجلنا له، فقال لهم أبو هاشم: والله لترجلن له صغاراً وذلة إذا رأيتموه، فما هو إلا أن أقبل وبصروا به فترجل له الناس كلهم، فقال لهم أبو هاشم:

أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟ فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا".

وأجمع السادة العلويون على تعظيم الإمام الهادي(عليه السلام) والاعتراف له بالزعامة والفضل وكان من بينهم عم أبيه زيد بن الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام)، وكان شيخاً كبيراً.

٤. نفوذه(عليه السلام) في أوساط أهل المدينة:

لما وجه المتوكل يحيى بن هرثمة إلى المدينة لإشخاص الإمام الهادي(عليه السلام) لشيء بلغه عنه، يقول يحيى: "فلما صرت إليها ضج أهلها وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله، فجعلت أسكنهم وأحلف أني لم أؤمر فيه بمكروه".

٥. نفوذه(عليه السلام) في أوساط أهل الكتاب:

لم يقتصر نفوذ الإمام(عليه السلام) على المسلمين والشيعة، بل عم أهل الكتاب أيضاً، حيث كانوا يكنون له احتراماً بالغاً، ويتوسلون به في المصائب والمحن ويحملون إليه الهدايا، روى هبة الله بن أبي منصور الموصلي أنه كان بديار ربيعة كاتب نصراني، وكان من أهل كفر توثا يسمى يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافى فنزل عند والدي، فقال له: ما شأنك، قدمت في هذا الوقت؟ قال: دعيت إلى المتوكل ولا أدري ما يراد مني إلا أني اشتريت نفسي من

الله بمائة دينار، وقد حملتها لعلي بن محمد بن محمد بن الرضا(عليه السلام) معي، فقال له والدي: قد وفقت في هذا.

٦. نفوذه(عليه السلام) في أوساط شيعة سامراء:

روى خادم الإمام الهادي(عليه السلام) قال: كان المتوكل يمنع الناس من الدخول إلى علي بن محمد، فخرجت يوماً وهو في دار المتوكل فإذا جماعة من الشيعة جلوس خلف الدار، فقلت: ما شأنكم جلستم ههنا، قالوا: ننتظر انصراف مولانا لننظر إليه ونسلم عليه وننصرف قلت لهم: إذا رأيتموه تعرفونه؟ قالوا: كلنا نعرفه.

للإمام العسكري(عليه السلام) مكانة خاصة لدى الخلفاء والوزراء وأهل الكتاب والعلماء والشيعة.

الدرس السادس

تمهيد لدخول الشيعة عصر الغيبة

المقدمة

إن حاصل المباحث الآنفة الذكر كالتالي:

١. طرحت الوكالة كواقع ملموس في النصف الثاني من دور الإمامة (أي منذ عصر الإمام الصادق(عليه السلام) حتى أواخر عصر الغيبة الصغرى)، وكان لها مزايا خاصة ومسؤوليات محددة، وإطلاق هذا العنوان (الوكالة أو السفارة) عليها مع غياب أي سابقة تاريخية لها، إطلاق في محله، لاسيما مع الأخذ بنظر الاعتبار المسؤوليات التي تبنتها، نظير: الزعامة والتعاون بين أعضائها، وانتهاج برنامج معين ومنسجم، وغيرها.

٢. إن القيادة -كما تقدمت الإشارة إلى ذلك- من أبرز خصوصيات هذه الوكالة، وتقع مقاليدها بيد أئمة معصومين(عليهم السلام)، وفي هذا الإطار فإن هناك سلسلة نشاطات تتناسب مع هذا المقام مثل تعيين الوكلاء وعزلهم، والتعريف بالشخصيات الشيعية، والإشراف على الوكلاء وما يقومون به، والتشهير بالوكلاء الذين يدعون الوكالة زيفاً، والتأمين المالي للوكلاء، وأمور أخرى، كما أن الشواهد

التاريخية توحي إلى وجود معاونين إلى جانب الإمام يطلق عليهم النقباء مهمتهم الإشراف على أعمال الوكلاء في النواحي الخاضعة لنفوذهم.

أخبار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة(عليهم السلام) بشأن المهدي(عليه السلام) وغيبته:

إن لمسألة الغيبة والمهدوية تاريخاً عريقاً في أوساط المسلمين لاسيما الشيعة، وقد اطلع المسلمون على هذه الحقيقة عبر الروايات النبوية والعلوية، والمصادر التي بين أيدينا مشحونة بالروايات عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة الهدى(عليهم السلام) التي تخبر بوقوع الغيبة والمسائل المتعلقة بها، يقول الشيخ الطوسي في هذا الصدد: "ويدل على إمامة ابن الحسن(عليه السلام) وصحة غيبته ما ظهر وانتشر من الأخبار الشائعة الذائعة عن آبائه(عليهم السلام) قبل هذه الأوقات بزمان طويل من أن لصاحب هذا الأمر غيبة، وصفة غيبته وما يجري فيه من الاختلاف ويحدث فيها من الحوادث، وأنه يكون له غيبتان، أحداهما أطول من الأخرى، وإن الأولى يعرف فيها خبره والثانية لا يعرف فيها أخباره، فوافق ذلك على ما تضمنته الأخبار".

وقد ذكر الشيخ الطوسي عدة أخبار عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام) بشأن المهدي(عليه السلام) وغيبته كما نقلت مصادر أخرى

المزيد من هذه الأخبار، نظير: (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق، والغيبة لابن أبي زينب النعماني، إلى جانب مصادر أهل السنة، ويمكن القول مع أخذ تلك الروايات بنظر الاعتبار إن مسألة المهدي(عليه السلام) وغيبته من المسائل المعروفة والشائعة في مصادر الفريقين، وغير قابلة للإنكار.

إن الذهنية الشيعية في مسألة الغيبة والمهدوية لا تتعلق بأصل المسألة فقط، بل تشمل أيضاً الخصوصيات والدقائق والجزئيات التي بينها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة(عليهم السلام)، ومما يجدر ذكره أن هذا البحث قد اعتمد على ثلاثة مصادر شيعية مهمة، هي كتاب (الغيبة) للنعماني و (الغيبة) للشيخ الطوسي و (كمال الدين) للشيخ الصدوق، أماسائر المصادر الشيعية والسنية الواردة حول المهدي(عليه السلام) فنترك مراجعتها لكم ايها الأعزاء.

١. رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

قال عبد الله بن عباس: "قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني منها فجعلني نبياً، ثم اطلع ثانية فاختار منها علياً فجعله إماماً، ثم أمرني أن أتخذه أخاً ووليا ووصياً وخليفة ووزيراً، فعلي مني وأنا من علي، وهو زوج ابنتي وأبو سبطي الحسن والحسين، إلا وإن الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حججاً على عباده، وجعل من صلب الحسين أئمة يقومون بأمري

ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة، فيعلن أمر الله ويظهر دين الله عز وجل يؤيد بنصر الله وبنصر ملائكة الله، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً".

٢. الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام):

نقل عبد العظيم الحسني عن الإمام الجواد(عليه السلام) عن آبائه عن الإمام علي(عليه السلام) أنه قال: "للقائم منا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة، ثم قال(عليه السلام): إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه".

٣. فاطمة الزهراء(عليها السلام):

نقل جابر بن عبد الله الأنصاري بطرق مختلفة عن الصحيفة التي رآها بيد فاطمة(عليها السلام)، كأنها درة بيضاء، فقرأ فيها أسماء الأئمة الاثنا عشر(عليهم السلام) مع أسماء أمهاتهم، وكان آخرهم قائم آل محمد(عليهم السلام).

٤. الإمام الحسن بن علي(عليه السلام):

روي عن أبي سعيد عقيصا أنه قال: لما صالح الحسن بن علي(عليه السلام) معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال(عليه السلام): ويحكم ما تدرون ما علمت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عليّ؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم إن الخضر(عليه السلام) لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً، أما علمتم أنه ما منا أحد ألا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه،إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم(عليه السلام) خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه، لئلا يكون لحد في عنقه بيعة، إذا خرج ذلك التاسع من ولد الحسين بن سيدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير".

٥. الإمام الحسين بن علي(عليه السلام):

روى عبد الرحمن بن الحجاج عن الإمام الصادق(عليه السلام)، عن آبائه، عن الإمام الحسين(عليه السلام) أنه قال: "في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنة من موسى بن عمران(عليه السلام)، وهو قائمنا أهل البيت،

يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة"، وعن رجل من همدان قال: "سمعت الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) يقول: "قائم هذه الأمة هو التاسع من ولدي، وهو صاحب الغيبة وهو الذي يقسم ميراثه وهو حي".

٦. الإمام السجاد(عليه السلام):

روي عن أبي خالد الكابلي، أنه قال: "دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله عز وجل طاعتهم ومودتهم وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال لي: يا كنكر إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عز وجل أئمة للناس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ثم الحسن، ثم الحسين ابنا علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، ثم انتهى الأمر إلينا، ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) إن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد واسمه في التوراة باقر يبقر العلم بقراً، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون، قال: حدثني أبي عن أبيه(عليهم السلام) إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) فسموه الصادق، فإن للخامس من ولده ولداً اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراء على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله عز وجل والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله عز وجل، ثم بكى علي بن الحسين(عليهما السلام) بكاء شديداً، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله... ثم قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله عز وجل الثاني عشر من أوصياء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة بعده، يا أبا خالد ان أهل زمان غيبته القائلين بامامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله عز وجل سراً وجهراً، وقال: انتظار الفرج من أعظم الفرج".

٧. الإمام الباقر(عليه السلام):

إن حجم الروايات المنقولة عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) بشأن المهدي(عليه السلام) وغيبته وظهوره أو علامات الظهور والحوادث التي تتلوها لا تقاس بحجم الروايات المنقولة عن سائر الأئمة(عليهم السلام)، وخصوصية هذه الروايات إضافة إلى بيان أصل المسألة، إنها تتعرض إلى بعض خصوصيات الغيبة، ويمكن إثبات هذا المدعى

من خلال استعراض بعض الروايات في هذا الصدد، يقول إبراهيم بن عمر اليماني قال: "سمعت أبا جعفر الباقر(عليه السلام)، يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، وسمعته يقول: لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة".

وعن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام)، قال: "يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي(عليه السلام) تاسعهم قائمهم".

وعن جابر الجعفي عن الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام) أنه قال: "يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جل جلاله، فيقول: عبادي وإمائي آمنتم بسري وصدقتم بغيبي فابشروا بحسن الثواب مني، فانتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل وعنكم أعفو ولكم أغفر وبكم أسقي عبادي الغيب ودافع عنهم البلاء، ولولاكم لنزلت عليهم عذابي".

٨. الإمام الصادق(عليه السلام):

إن الروايات المنقولة عن الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام) في هذا الصدد كثيرة، وقد تعرضت إلى بيان المزيد من الخصوصيات وإليك عدداً منها:

روي عن صفوان بن مهران، عن جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)، أنه قال: من أثر بجميع الأئمة وجحد بالمهدي(عليه السلام) كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) فقيل له: يا ابن

رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته".

روي عن أبي بصير، أنه قال: قال الصادق(عليه السلام): "إن بلغكم عن صاحبكم غيبة، فلا تنكروها".

وروي عن عبيد بن زرارة، أنه قال: "سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول: يفقد الناس امامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه".

ويشير الإمام في بعض الروايات إلى وجود غيبتين: صغرى وكبرى.

وقد وردت روايات بهذا المضمون من طرق مختلفة في مصادرنا مثل كتاب الغيبة للنعماني، الذي قال بعد نقله لتلك الروايات: "هذه الأحاديث التي يذكر فيها إن للقائم(عليه السلام) غيبتين، أحاديث قد صحت عندنا، وأوضح الله قول الأئمة(عليهم السلام)، وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام(عليه السلام) وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين، موجودي الأشخاص والاعيان يخرج على أيديهم غوامض العلم وعويص الحكم، والأجوبة على كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها، والغيبة الثانية، هي التي ارتفع فيها أشخصا السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى والتدبير الذي يمضيه في الخلق".

٩. الإمام الكاظم(عليه السلام):

عن محمد بن يعقوب بسنده عن علي بن جعفر، عن أخيه الإمام الكاظم(عليه السلام)، أنه قال: "اذا فقد الخامس من ولد السابع، فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم عنها، فإنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله يمتحن الله بها خلقه".

وقال داود بن كثير الرقي: "سألت أبا الحسن موسى بن جعفر(عليه السلام) عن صاحب هذا الأمر، قال: هو الطريد الوحيد الغريب الغائب عن أهله الموتور بأبيه(عليه السلام)".

١٠. الإمام الرضا(عليه السلام):

عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي، يقول: "انشدت مولاي علي بن موسى الرضا(عليه السلام) قصيدتي التي اولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا(عليه السلام) بكاء شديداً ثم رفع رأسه الي، فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي إلا إني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي أبنه الحسن، وبعد الحسن أبنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً، وأما متى؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه(عليهم السلام) إن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): مثله مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة".

١١. الإمام الجواد(عليه السلام):

روي عن عبد العظيم الحسني، أنه قال: "دخلت على سيدي محمد بن علي الجواد(عليه السلام) وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره، فابتدأني، فقال لي: يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي، الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي والذي بعث محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة وخصنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى

ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى(عليه السلام)، إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي، ثم قال: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج".

١٢. الإمامان الهادي والعسكري(عليهما السلام):

اتضح مما سبق إن مسألة إعداد الشيعة للدخول في عصر الغيبة وقبولها وانقطاع الاتصال المباشر بالإمام(عليه السلام) كانت قد ابتدأت في عصر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) واستمرت إلى عصر الأئمة(عليهم السلام)، أما في عصر الإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام) فقد شهد منعطفاً جديداً عبر التدابير الواسعة التي اتخذت من أجل تمهيد الأرضية اللازمة لدخول الشيعة عصر الغيبة، وقد تلخصت جهود الإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام) في الأمور التالية:

أول إجراء قام به الإمامان(عليهما السلام) كان بموازاة جهود النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة(عليهم السلام)، أي الإخبار عن المهدي(عليه السلام) وغيبته وبيان خصوصية تلك الغيبة، وكيفية ظهوره، وكل ما ينبغي معرفته في هذا الشأن.

والإجراء الآخر الصادر عنهما(عليهما السلام) هو الحد من الاتصال المباشر بالشيعة عن عمد أو قسر من أجل تهيئة الأجواء لدخول الشيعة مرحلة جديدة، وهي مرحلة الاقتصار على المكاتبة أو الاتصال بالواسطة، فكان لابد للشيعة من التكيف مع هذا الوضع الجديد،

والاجـــراء الثالـــث المهـــم الـــذي مارســـه الإمامـــان الهـــادي والعسكري(عليهما السلام) في تمهيد أرضية الغيبة هو دعم السفارة والوكالة باعتبارها ركناً ركيناً في اتصال الإمام(عليه السلام) بالشيعة في عصر الحضور والغيبة.

وكل واحد من هذه الإجراءات الثلاثة بحاجة إلى مزيد من التوضيح.

أولاً: تبيين مسألة المهدي(عليه السلام) وغيبته:

تقـدم أن الـنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمـة(عليهم السلام) أولـوا قـضية المهـدي(عليه السلام) وغيبتـه عنايـة بالغـة، وفي هـذا الإطـار أكـد الإمامـان العسكريان(عليهما السلام) على قرب حلول عصر الغيبة وحذرا من السقوط في أحضان الحيرة والضلالة، وقد أشارت روايات متعددة وردت عن الإمـام الهـادي(عليه السلام) إلى أن المهـدي(عليه السلام) هـو ابـن ابنـه، وإن غيبتـه قريبة.

عن صقر بن أبي دلف، قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا(عليه السلام)، يقول: "إن الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً".

وقـد أخـبر الإمـام(عليه السلام) الـشيعة بهـذا الأمـر -حـسب بعـض الأخبار المنقولة عنه(عليه السلام)- وهـو المهـدي(عليه السلام) هـو الـذي أن سـتبقى

ولادته سرية لا يطلع عليها أحد، وفي هذا تنبيه للشيعة لئلا يساورهم الشك حياله نتيجة إخفاء ولادته(عليه السلام).

ولما استشهد الإمام الهادي(عليه السلام) انتقلت مسؤولية إعداد الشيعة لعصر الغيبة إلى الإمام العسكري(عليه السلام)، الذي تضاعفت مسؤوليته نظراً لولادة المهدي(عليه السلام) في عهده، وقرب موعد غيبة نجله، وعليه فقد تلخصت مهمة الإمام العسكري(عليه السلام) إلى جانب بيان أصل مسألة المهدي(عليه السلام) وغيبته -في بيان إثبات وجود المهدي(عليه السلام) وولادته، الأمر الذي دعا الإمام(عليه السلام) إلى إطلاع بعض خواصه على ولادته، وإرائته لهم سراً، وتعيين زمن غيبته بدقة، قال أبو غانم: سمعت أبا محمد الحسن بن علي(عليه السلام) يقول: "في سنة مائتين وستين تفترق شيعتي".

كما صرحت بعض الروايات بوقوع الاختلاف بين الشيعة بعد بدء عصر الغيبة، قال موسى بن جعفر بن وهب البغدادي: سمعت أبا محمد الحسن بن علي(عليه السلام) يقول: كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني... أما أن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عز وجل".

وورد في بعض الروايات الأمر بالصبر وانتظار الفرج في زمن الغيبة منها:

ما كتب(عليه السلام) إلى أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي: (عليك بالصبر وانتظار الفرج، قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): أفضل

أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين".

ثانياً: الحد من الاتصال المباشر بالشيعة:

قام الإمامان العسكريان(عليهما السلام) بالاحتجاب عن الشيعة شيئاً فشيئاً لتمهيد الأرضية اللازمة لغيبة الإمام المهدي(عليه السلام)، هذه الحقيقة تتضح بجلاء من ثنايا كلمات المؤرخ المعروف المسعودي في (إثباته الوصية) حيث يقول:

"إن أبا الحسن الهادي صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عدد يسير من خواصه، فلما افضى الأمر إلى أبي محمد(عليه السلام) كان يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان".

فهذا الإمامان(عليهما السلام) ظلا محتجبين عن الشيعة قسراً أو طوعاً نظراً لتعرضهما لمراقبة شديدة في سر من رأى، ولقرب عصريهما من عصر الغيبة، وقد اقتصر اتصالهما بالشيعة على طريق المكاتبات والتوقيعات والوكلاء، الامر الذي يفسر لنا كثرة المكاتبات قال أحمد بن اسحاق القمي: (دخلت على أبي محمد(عليه السلام) فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطه فأعرفه إذا ورد).

من هنا كانت جماعة من الشيعة تغتنم الفرصة وتلتقي بالإمام(عليه السلام) عند مسيره إلى دار الخلافة كل أسبوع.

ثالثاً: دعم الوكالة:

إن أحد التدابير التي اتخذها الإمام العسكري(عليه السلام) للدخول في عصر الغيبة هو دعم الوكالة ولأجل معرفة المزيد عنها وسر تكاملها خاصة في عصر الإمامين العسكريين(عليهما السلام) وعصر الغيبة لابد من تسليط الأضواء على هذا الجهاز والإطلاع على سيره التكاملي وسائر خصوصياته ومهامه، والمباحث التالية تتكفل بذلك:

١. التعريف اللغوي والاصطلاحي للوكالة.

٢. الأسباب التي دعت إلى تشكيل جهاز الوكالة واستمرار نشاطه حتى انتهاء عصر الغيبة.

٣. القيود الزمانية والمكانية المفروضة على نشاط الوكالة.

٤. وظائف ومهام الوكالة.

٥. خصوصيات الوكالة.

٦. سيرة وكلاء الأئمة(عليهم السلام).

الدرس السابع

الوكالة والسير التكاملي

المقدمة

١ - ما هي الأسباب التي دعت إلى إقبال الأئمة(عليهم السلام) على الوكالة والسفارة، كنشاط فعال إلى جانب أنشطة أئمة أهل البيت(عليهم السلام)؟ وهذا سؤال مهم، الإجابة عنه، من خلال القول بأنه نظراً لأجواء الكبت والظلم والرقابة الشديدة على الأئمة(عليهم السلام)، أدى كل ذلك إلى عدم امكان الاتصال المباشر بالشيعة، مما استدعت الحاجة إلى وجود من يقوم بدور حلقة وصل بين الإمام والمجتمع الشيعي، وحتى على فرض غياب أجواء الكبت فالحاجة ما زالت قائمة، نظراً لاتساع العالم الاسلامي، وانتشار المراكز الشيعية فيه.

٢ - إن الإطار الزماني لنشاط هذه المنظومة امتد منذ عصر الإمام الصادق(عليه السلام) وحتى عصر الغيبة الصغرى، خاصة مع ملاحظة الخصوصيات المتوفرة في عصر الإمام الصادق(عليه السلام) من إزدياد عدد الشيعة، واتساع المناطق الإسلامية، وضرورة حضور وكلاء الإمام(عليه السلام) بينهم، ووجود نصوص تاريخية صريحة بشأن وكلاء الإمام الصادق(عليه السلام).

٣ - إن الإطار المكاني لنشاط هذا الجهاز يمتد بامتداد المراكز الشيعية، التي كانت خاضعة لتغطية هذا الجهاز، كالحجاز والعراق وإيران واليمن ومصر والمغرب.

٤ - رغم اعتقاد بعض المحققين بأن مهمة الوكالة تنحصر بجباية الأموال، وأخذ الحقوق الشرعية، ولكن الدليل على هذا الانحصار يكاد يكون مفقوداً، بل ثمة مسؤوليات أخرى تتبناها، كالإرشاد العلمي والثقافي والسياسي، ومعالجة مشاكل الشيعة، وأداء المهام الشخصية والخاصة بالأئمة(عليهم السلام)، ويمكن أن نستشف كل ذلك من ثنايا النصوص التاريخية والروائية، وعلى أية حال لا يمكن إنكار أهمية الدور المالي لهذا الجهاز.

٥ - يمكن استكشاف صفات لابد من توفرها في وكلاء الأئمة(عليهم السلام) من النصوص، وفي طليعتها الوثاقة والأمانة والصدق، وقلنا إن المراد من الوثاقة هو الوثاقة في الأمور المالية، والى جانب ما تقدم من صفات ثمة صفات أخرى تطرح للوكيل كالسرية والخفاء والكتمان والفراسة والنظم والخبرة.

١. أسباب إنشاء الوكالة والسير التكاملي فيها:

قيل في التعريف اللغوي للوكالة: (الوكالة أن يعهد إلى غيره أن يعمل له عملاً، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، وسمي الوكيل وكيلاً لأنه يوكل إليه الأمر).

وورد تعريفها في المصادر الفقهية: (الوكالة هي تولية الغير في إمضاء أمراً واستنابته في التصرف في ما كان له ذلك -الوكالة هي التفويض، وشرعاً الاستنابة المخصوصة-.

الوكالة هي تفويض أمر إلى الغير ليعمل له حال حياته، أو إرجاع تمشية أمر من الأمور إليه له حالها).

من هنا يظهر أن تعيين الأئمة(عليهم السلام) للوكلاء إنما هو لأجل تعذر إقامة اتصالات مباشرة بالشيعة القاطنين في ربوع العالم الإسلامي بالطرق المتداولة.

ويعود هذا المصطلح إلى زمن حضور الأئمة(عليهم السلام) وعصر الغيبة الصغرى، وقد أطلق عليه جهاز الوكالة، نظراً لإدارته من قبل جماعة يسودها النظم والانسجام.

وبدت معالم ذلك الجهاز تظهر في زمن الإمام الصادق(عليه السلام) حيث بعث الإمام(عليه السلام) عدد من الوكلاء إلى المراكز الشيعية الدانية، والنائية لكي يؤدوا ما عليهم من مهام الاتصال بالشيعة، ثم اتسع هذا النشاط وازداد انتشاراً في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام)، وساد فيه المزيد من الانسجام في أواخر عصر الإمام الرضا(عليه السلام) وبداية عصر الإمام الجواد(عليه السلام)، ودام هذا الوضع حتى عصري الإمامين: الهادي والعسكري(عليهما السلام) وعصير الغيبة، فبلغ ذروة نشاطه وانحصر به اتصال الشيعة بالإمام(عليه السلام)، واستمر نشاطه حتى نهاية عصر الغيبة الصغرى، وكان يضم وكلاء الإمام(عليه السلام) الذين تمتعوا بمواصفات

خاصة تؤهلهم لتحمل المسؤوليات الملقاة على عاتقهم وفي هذا الخضم كان البعض يدعي النيابة والبابية عن الإمام(عليه السلام) كذباً وافتراءً لدوافع ذاتية، فكان(عليه السلام) يدحض أكذوبتهم.

٢. علل إنشاء السفارة وإدامة نشاطها حتى انتهاء عصر الغيبة:

إن البحث المهم في هذا الموضوع، هو أنه لماذا أقدم الأئمة(عليهم السلام) على إنشاء الوكالة والسفارة وتعزيز نشاطها، وما هي الأسباب والخلفيات الكامنة وراء ذلك؟ ويمكن أن تتلخص هذه الأسباب بالأمور التالية:

أ. ضرورة الاتصال بين الإمام وأتباعه:

يبدو أن من العوامل الأساسية لإنشاء السفارة والوكالة، هي ضرورة الاتصال بين الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وأتباعهم، وهي ضرورة ملحة بين الإمام وأتباعه.

ب. الكبت العباسي وضرورة الحفاظ على الشيعة والتشيع:

لا شك أن أجواء الكتب لا يمكن أن تشكل عاملاً رئيساً لإنشاء السفارة، ولكن يمكن القول بضرس قاطع إن تلك الأجواء كانت عاملاً مساعداً لتصعيد نشاطها وانتشارها، ومن هنا بلغت

السفارة ذروة فاعليتها في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) والإمام الهادي(عليه السلام).

ج. إعداد الشيعة لعصر الغيبة:

إن أحد وجوه اهتمام الأئمة(عليهم السلام) بهذا الجهاز هو إعداد الشيعة للتكيف مع الوضع الجديد، وهو عصر الغيبة الذي انحصر فيه اتصال الشيعة بالإمام(عليه السلام) عن طريق الوكلاء، ومع أخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار، فأنه كلما اقتربت الشيعة من عصر الغيبة كلما ضاق نطاق الاتصال المباشر بالإمام(عليه السلام)، وتجلى أكثر دور الوكالة خاصة في عصر الإمامين العسكريين(عليهما السلام) الذي اقتصر اتصال الشيعة بهما على طريق المكاتبة والوكالة ومهما يكن من أمر فقد دعم الإمامان العسكريان(عليهما السلام) السفارة لأجل تهيئة الشيعة لمرحلة جديدة وهي مرحلة الغيبة.

د. رفع الحيرة عن الشيعة في عصر الغيبة:

إزدادت الحاجة إلى هذا الجهاز في عصر الغيبة الصغرى للإمام المهدي(عليه السلام) نظراً لإنحصار الاتصال به عن طريق الوكلاء، وعندئذ يصبح الوكلاء والسفراء المرجع الوحيد للشيعة في حل مشاكلهم الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، كما كان الحال في عصر بعض الأئمة(عليهم السلام) كالإمام الكاظم(عليه السلام) أو

الإمامين العسكريين(عليهما السلام)، حيث لم يتمكن الشيعة من الوصول إليهم، فكان الوكلاء هم مراجع الشيعة الثقات.

٣. الإطار الزماني والمكاني لنشاط السفارة:

ينبغي أن نعلم -مع أخذ القرائن والشواهد بنظر الاعتبار- أن نقطة انطلاق نشاط ذلك الجهاز بدأ في عصر الإمام الصادق(عليه السلام) وقد واجه تحديات كبيرة طيلة وجوده إلا أنه لم يكف عن نشاطه في اي عصر من عصور الأئمة(عليهم السلام) لاسيما، وأنه شهد في عصر الغيبة منعطفاً خطيراً في نشاطه بعد أن أصبح المرجع الوحيد للشيعة في عصر غيبة الإمام المعصوم(عليه السلام).

وقد استمر نشاطه بزخم هائل حتى عام ٣٢٩هـ، حيث تزامن مع وفاة السفير الرابع للإمام المهدي(عليه السلام)، وانقطاع السفارة ومنذ تلك السنة ابتدأ عصر الغيبة الكبرى، وقد احيلت هذه المسؤولية إلى الفقهاء الجامعين للشرائط، وإن كان هذا لا يمنع من كونهم وكلاء عنه(عليه السلام) بالمعنى العام دون أن ينطوي تحت عنوان السفارة والوكالة وعليه يمكن القول بأن الإطار الزماني له امتد ما بين عصر الإمام الصادق(عليه السلام) ونهاية عصر الغيبة الصغرى، أما الإطار المكاني لنشاطه فيحتمل أنه عم كافة المراكز الشيعية المنتشرة في العالم الإسلامي، بغض النظر عن الشواهد التاريخية.

٤. وظائف وشؤون منظومة الوكالة:

يظهر من خلال دراسة الشواهد التاريخية أن جهاز ومنظومة الوكالة منذ زمن تأسيسه وحتى انتهاء نشاطه كان له وظائف ومهام متنوعة وسوف نشير إليها بإيجاز:

أ. جباية الأموال والحقوق الشرعية:

أقدم هذا الجهاز منذ إنشائه على جمع الحقوق الشرعية وتوزيعها، وقد اتسعت دائرة نشاط الوكالة في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) وانتشرت في المراكز الشيعية، وبلغت الأموال التي تجبى مبلغاً عظيماً.

ب. العناية بالاوقاف:

كانت الأوقاف منتشرة في نقاط مختلفة من العراق وغيره من البلدان الاخرى.

ج. إرشاد الشيعة ومناظرة المخالفين:

إن إحدى مهام السفارة هي إرشاد الشيعة إلى وظائفها وتبيين أصول المذهب، ولا شك أنه حينما يتم إرسال وكيل عام ومطلق للإمام المعصوم(عليه السلام) إلى مدينة أو منطقة فلابد أن يكون من أكثر

الناس علماً ومعرفة لاسيما بمعرفة الإمام المفترض الطاعة حيث كانت تنهال عليه الأسئلة من قبل الشيعة في هذا الصدد.

وقد واجهت الشيعة في عصر الغيبة الصغرى وضعاً جديداً يتسم بإزدياد الشك والحيرة، وذلك لغياب الإتصال المباشر بالإمام المعصوم(عليه السلام)، وإزاء تلك الحالة، بقيت الوكالة هي الملجأ والملاذ الآمن للإرشاد والتوعية.

ولما توفي النائب الأول للإمام(عليه السلام) ساورت الناس الشكوك حول خليفته، فقام أبو جعفر العمري مقامه وأزاح تلك الشكوك وتكفل بمهمة إرشاد الناس.

وثمة شواهد كثيرة تدل على قيام الأئمة(عليهم السلام) بإحالة الشيعة إلى السفارة بغية معرفة الحق حين تعذر الوصول للإمام(عليه السلام)، ومن أبرزها قيام الإمام الهادي(عليه السلام) بإحالة (أحمد بن إسحاق القمي) إلى (عثمان بن سعيد) والرجوع إليه.

وكان الوكلاء والنواب المرجع في تعيين الغث من السمين في المسائل الكلامية والعقائدية خاصة في عصر الغيبة، فالعمري (النائب الثاني للإمام المهدي(عليه السلام)) يدحض مثلاً عقيدة المفوضة بشأن نسبة الخلق والرزق إلى الأئمة(عليهم السلام) لما استفسر عنها، ونسب كل ذلك إلى الذات المقدسة لله تعالى.

وكذا الحال بالنسبة للحسين بن روح النوبختي لما سئل عن علة تسلط الأعداء على الإمام الحسين(عليه السلام)، فأجاب بجواب مفصل ومقنع، فقال الراوي: (فعدت إلى الشيخ أبي القاسم بن روح من الغد وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر ما لنا يوم أمس من عند نفسه، فابتدأني فقال لي: لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحب إلي من أن أقول في دين الله برأيي أو من عند نفسي، بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة(عليه السلام)).

إن المناظرة مع الخصوم -بالرغم من عدم انحصارها بوكلاء الأئمة(عليهم السلام) كانت تعهد إليهم أحياناً، فقد خول الإمام الصادق(عليه السلام) وكيله (عبد الرحمن بن الحجاج) مهمة التحدث مع أهل المدينة، قائلاً له: "يا عبد الرحمن كلم أهل المدينة فإني أحب أن يرى في رجال الشيعة مثلك".

وكان الوكلاء يستعينون أحياناً بكبار المحدثين الشيعة بغية رفع الشبهات، فقد أرسل (الحسين بن روح النوبختي) كتاباً إلى محدثي قم يطلب منهم النظر فيه وتعيين ما يخالفهم.

ولم ينحصر إرشاد الوكلاء بالنواحي الفكرية والعقائدية، بل تعداها إلى المسائل الشخصية أيضاً.

د. الدور السياسي لمنظومة الوكالة:

ان جمع الأموال من المراكز الشيعية وحملها إلى الأئمة(عليهم السلام) يعد بحد ذاته نشاطاً سياسياً بنظر حكام بني العباس، فالاتهام الذي وجهه المنصور للإمام الصادق(عليه السلام) وهارون الرشيد للإمام الكاظم(عليه السلام) بجمع الأموال لدعم المناوئين للحكم العباسي يصب في هذا المجرى، وكذا الاتهام الذي لفقه المتوكل ضد الإمام الهادي(عليه السلام)، فبعد وقوفه على النشاط الواسع لوكلاء الإمام الهادي(عليه السلام) سعى إلى استئصال شأفتهم من خلال إلقاء القبض عليهم، وقد أفضى ذلك إلى إلقاء القبض على أصحاب الإمام(عليه السلام)، واستشهاد بعضهم تحت التعذيب.

إن الحرص الذي كان يوليه الجهاز العباسي في عصر الغيبة على جمع أخبار الوكلاء لهو دليل آخر على النشاط السياسي الذي كانوا يمارسونه بنظر بني العباس.

هـ . دور الوكالة في تأمين الاتصال:

تقدم في مبحث إنشاء جهاز الوكالة أن من أبرز الأسباب التي دعت إلى تأسيسه، هو كونه حلقة وصل، ومن الواضح بمكان أن الشيعة المنتشرين في أقصى النقاط كانوا يجدون عناء كبيراً في الاتصال بالإمام(عليه السلام) مما دعت الحاجة إلى التردد على وكلائه في المناطق القريبة منهم، والاستفسار عن المسائل الشرعية والمالية وغيرها،

فاستلام الحقوق الشرعية، والإجابة عن المسائل الشرعية والكلامية والعقائدية، وإرسال الكتب إلى الإمام(عليه السلام) وبعث رسائل شفوية واستلام أجوبتها وغيرها وكانت من جملة وظائف الوكلاء الذين هم في الواقع حلقة وصل بين الإمام(عليه السلام) وشيعته، ويبدو جلياً أنه إذا نحينا الوكالة جانبا لتعطلت تلك المهام ولبقيت الشيعة في حيرة من أمرها.

إن إحدى المقولات التي اشتهرت في طوال عصر الغيبة الصغرى أو ما يقرب منه، حتى أصبحت من أهم وظائف الوكلاء، هي (إخراج التوقيعات).

فالتوقيع اصطلاحاً هي الكلمات القصار التي يذيلها الأعيان في حاشيه كتبهم أو رسائلهم إجابة لسؤال أو حلاً لمعضلة أو تعبيراً لوجهة نظر وعقيدة معينة، وعلى الرغم من أن أغلب التوقيعات صدرت إجابة لاستفسار، ولكن ثمة توقيعات كانت تصدر عن الإمام(عليه السلام) أحياناً لي بداعي الاجابة، كالتوقيع الصادر عن الإمام المهدي(عليه السلام) تعزية بوفاة السفير الأول أو انتهاء وكالة السفير الرابع.

وكانت التوقيعات تصدر عادة بعد طرح الاستفسارات بفاصل زمني يقدر بيومين أو ثلاثة أو أكثر، ولكن أحياناً يتم خرق تلك العادة وتصدر في فاصلة زمنية قصيرة للغاية.

ومضمون هذه التوقيعات يشمل أموراً من قبيل الإجابة عن استفسار وأوامر صادرة إلى الوكلاء، وجباية الأموال، وإعلام نصب

وكيل وإعلام الخطر المحدث بالوكالة وبيان علاجه، وإعلام اللعن، وإقصاء الوكلاء الخونة والمدعين للنيابة والبابية افتراء، والتمجيد بشخصية بعض الوكلاء ورفع الاتهام عنهم، وحل المشاكل الشخصية، ورفع الاختلافات، وإزاحة الشبهات والشكوك.

و. إعانة فقراء ومظلومي الشيعة:

كان (علي بن يقطين) وكيل الإمام الكاظم(عليه السلام)، ومن الوجهاء في جهاز الخلافة العباسي، وقد تكللت جهوده بالنجاح في رفع الظلم عن الشيعة، وحينما شاهد الإمام(عليه السلام) تذمره من التعاون مع جهاز الحكم العباسي الظالم قال له: "إن لله مع كل طاغية وزيراً من أوليائه يدفع به عنهم وأنت منهم يا علي".

مما يأتي في هذا الإطار قيام بعض الوكلاء بتوزيع إعانات الأئمة(عليهم السلام) على فقراء الشيعة، وقد يستخدم الوكلاء أموال الحقوق الشرعية في فض النزاعات التي تقع بين الشيعة ويبذلونها في هذا السبيل أن تطلب الأمر ذلك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الأهمية التي يوليها الأئمة(عليهم السلام) للحفاظ على وحدة الشيعة.

٥. خصوصيات منظومة الوكالة:

أ. شروط النائب أو الوكيل:

الأول: الوثاقة.

الثاني: السرية والكتمان.

الثالث: الفراسة.

الرابع: النظم في الأمور.

الخامس: الأمانة والزهد.

السادس: العزوف عن الدنيا والغرور والتكبر.

السابع: الابتعاد عن الحسد، والشهرة، والخيانة، والغلو، والجهل، والتعصب والباطل، والظلم.

الثامن: احترام أهل بيت النبوة(عليهم السلام).

التاسع: الإحاطة بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وحقوق الأئمة(عليهم السلام).

العاشر: القدرة على فعل ما يخرق العادة إذا اقتضت الحاجة، وهذا خاص بالنواب الأربعة.

ب. سائر خصوصيات منظومة الوكالة:

وثمة خصوصيات أخرى للوكالة، هي:

الأولى: القيادة

القائد وهو الإمام المعصوم(عليه السلام) له إشراف دقيق على أعمال الوكلاء، وله مسؤوليات أخرى، نظير تعيين وكلاء للنواحي، وتقويم نشاطهم، والتعريف بفضائلهم وشخصياتهم، وعزل الوكلاء الفاسدين والخائنين، واستخلاف وكلاء محلهم، والتشهير بالمدعين للوكالة كذباً وافتراءً ومواجهتهم، وإرشاد الوكلاء إلى مسؤولياتهم وكيفية مواجهة الحكم العباسي، وتمويل الوكلاء، ورفع الاتهامات عنهم.

الثانية: نقيب الوكلاء

صنفت منظومة الوكالة المناطق إلى نواحي خاصة، وعين على رأس كل ناحية نقيباً للوكلاء مهمته الإشراف على أعمال الوكلاء في المناطق التابعة لنفوذه وكان الوكلاء يرجعون إليه.

الثالثة: الوكلاء المقيمون والمتجولون

كان أغلب الوكلاء مقيمون في مناطقهم، ولكن -وطبقا للشواهد التاريخية- كان بعض الوكلاء يتجولون ويتفقدون نواحي مختلفة لأجل الإشراف على نشاط الوكلاء المقيمين من جهة والاتصال

بالإمام(عليه السلام) من جهة أخرى، وأيضاً تسليمه الأموال الشرعية التي بحوزتهم.

الرابعة: أصل الخفاء والسرية

إن من أهم خصوصيات منظومة الوكالة طيلة نشاطه هو أصل الخفاء والسري، ومن البديهي أن هذا الأصل منبثق من الأخطار المحدقة به من جانب الحكم العباسي، فكان من اللازم ممارسة الوكلاء لنشاطهم بمزيد من الحيطة والحذر، نظراً للرقابة الشديدة والمستمرة من الجهاز العباسي على نشاط أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم، وهذا الأسلوب هو الذي كتب لجهاز الوكالة البقاء وجعل أعضاءه بمنأى عن خطر إشاعة أمرهم وكشف سرهم، وبالتالي القضاء عليهم، وكان الخطر يهددهم في بعض الموارد إلا أن يقظة الإمام(عليه السلام) وتضحية أعضاء منظومة الوكالة حال دون تعرض أصلها للخطر.

ووقع مثل ذلك في عصر الغيبة الصغرى، فعندما أطلع عبيد الله بن سليمان الوزير العباسي على النشاط السري للوكلاء، عقد العزم -بعد استشارة الخليفة- على القبض عليهم، فبث عيوناً بين من يحتمل وكالته، ودسوا معهم الأموال، ولكن صدر توقيع من الناحية المقدسة يمنع الوكلاء من جباية الأموال، ومن جملة هؤلاء الوكلاء محمد بن أحمد، وحينما قصده أحد الجواسيس بذريعة دفع الأموال،

امتنع من أخذها، قائلاً: (غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً)، وكان الوكلاء يعملون على هذه الشاكلة ريثما يزول الخطر.

الخامسة: وسائل الاتصال

ومن جملة مزايا منظومة الوكالة إقامة الاتصال بالإمام(عليه السلام) كإرسال الكتب وإخراج التوقيعات وفريضة الحج، والوكلاء المتجولين ومراجعة الإمام مباشرة.

٦. التعريف بثلة من أهم وكلاء الأئمة(عليهم السلام)

إن من تفحص المصادر الرجالية والروائية والتاريخية يعثر على أسماء جمع غفير من وكلاء الأئمة(عليهم السلام)، ورغم عدم امكان ادعاء ضبط أسماء الوكالة كافة في الكتب التاريخية والرجالية والروائية، لذا نقتصر على ذكر اسماء أعيانهم:

١. عبد الرحمن بن الحجاج البجلي. ٢. محمد بن سنان الزاهري.

٣. المعلى بن خنيس. ٤. نصر بن قابوس اللخمي

٥. المفضل بن عمر الجعفي. ٦. علي بن يقطين.

٧. عبد الله بن جندب. ٨. إبراهيم بن سلام النيسابوري

٩. علي بن أبي حمزة. ١٠. صفوان بن يحيى البجلي.

١١. عبد العزيز بن المهتدي القمي.

١٢. علي بن مهزيار الأهوازي. ١٣. زكريا بن آدم الأشعري القمي
١٤. إبراهيم بن محمد الهمداني. ١٥. أيوب بن نوح بن دراج النخعي
١٦. علي بن جعفر الهمداني. ١٧. علي بن الحسين بن عبد ربه
١٨. إبراهيم بن مهزيار. ١٩. إبراهيم بن عبده النيسابوري

الدرس الثامن

تاريخ عصر الغيبة (٢٦٠ - ٣٢٩هـ)

المقدمة

تزامن عصر الغيبة الصغرى مع خلافة ستة خلفاء عباسيين، وكان الوضع السياسي وخصوصياته آنذاك امتداداً لعصر ما قبل الغيبة حيث تم استيلاء الموالي الأتراك على مقاليد الحكم، وتدهور وضع الحكومة المركزية، وتعاظم نفوذ الولاة.

وقد تم في هذا الدور انتقال مركز الخلافة من سامراء إلى بغداد، ومن أهم خصوصيات الوضع السياسي لهذا الدور هي نشوب فتن كثيرة وخروج العلويين وتشكيل حكومات مستقلة وظهور مناطق تتمتع بحكم ذاتي.

وكان الوضع الاجتماعي المتدهور امتداداً للأدوار السابقة، ومن أهم خصوصيات هذا الوضع هي الاختلافات الطائفية والمذهبية، وازدياد الهوة بين الفقراء والأغنياء، واللهو، وإسراف وتبذير الخلفاء والوزراء والأعيان والأشراف.

أما الوضع الفكري فمن أبرز سماته، تبلور المذهب الأشعري وغلبته على الاعتزال وتدوين المصادر الروائية.

عصر الغيبة الصغرى:

بدأ هذا العصر منذ وفاة الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) في الثامن من ربيع الأول عام ٢٦٠ هـ، وتولي الإمام المهدي(عليه السلام) الولاية والإمامة، وانتهى في الخامس عشر من شعبان عام ٣٢٩هـ بوفاة "أبي الحسن علي بن محمد السمري" رابع وآخر سفير ونائب خاص.

وسنبحث في حوادث مهمة في تاريخ الشيعة رافقت هذا الدور، وهي كالتالي:

الاول: الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في عصر الغيبة الصغرى.

الثاني: تاريخ الغيبة وبدايتها.

الثالث: فلسفة الغيبة.

الرابع: خصوصيات عصر الغيبة الصغرى.

الخامس: وقوع الاختلافات بعد وفاة الإمام العسكري(عليه السلام).

السادس: نصب النواب الأربعة.

السابع: نصب وكلاء للمناطق الشيعية.

الثامن: الوكلاء الخونة والمدعين للوكالة كذباً.

التاسع: الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة في عصر الغيبة الصغرى.

الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في عصر الغيبة الصغرى:

أ. الوضع السياسي:

دام هذا الدور سبعين عاماً وتزامن مع حكم ست خلفاء عباسيين من الخليفة الخامس عشر وحتى العشرين.

وتشبه خصوصيات الوضع السياسي في هذا الدور -الى حد كبير- خصوصيات الدور الذي سبق عصر غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) وأبرزها غلبة الموالي لاسيما الاتراك، وبموازاة تفاقم نفوذ الموالي الاتراك، راحت الحكومة المركزية تنحدر نحو الضعف والانهيار وكلما مضى الزمان كلما ضعفت قدرة الخليفة على إدارة مرافق الدولة والسيطرة على حدودها.

ومع كل هذا الضعف، لم يتوقف الخلفاء العباسيون عن ظلم الناس وهضم حقوقهم، ولم يألوا جهداً في إرتكاب أية جريمة من أجل البقاء في الحكم، وقد كان الإرهاب سيد الموقف في هذا الدور

لاسيما في عصر المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ) الذي كان الأمر في عهده حاداً والسيف يقطر دماً، على حد تعبير الشيخ الطوسي.

إن الخصوصيات التي ذكرت لعصر ما قبل الغيبة الصغرى، كانت نفسها هي السائدة في عصر الغيبة أيضاً.

وسوف نعرج على الحوادث التي رافقت هذا العصر:

١. انتقال الخلافة من سامراء إلى بغداد:

فقد نقل المعتصم العباسي مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء عام ٢٢٠هـ، لعله بهذا الطريق يتغلب على المشاكل ويذلل الصعوبات ويحول دون تعرض جهاز الخلافة إلى المزيد من الضعف والتدهور.

إلا أن هذا التغيير لم يحقق أهدافه، بل أصبح نفسه منشأ لمشاكل أخرى استمرت حتى عام ٢٧٩هـ حيث بويع المعتضد العباسي في بغداد، وأعاد إليها مركز الخلافة، ولما اعتلى المكتفي عرش الخلافة، راودته فكرة إعادة مركز الخلافة إلى سامراء إلا أن وزيره منعه من ذلك بذريعة ان ذلك يكلف أموالاً طائلة، ومنذ ذلك الوقت هجرت سامراء وخربت.

٢. ظهور القرامطة:

إن إحدى المشاكل التي واجهت العالم الإسلامي في عصر الغيبة الصغرى هي فتنة القرامطة.

فقد أعلن القرامطة تمردهم عام ٢٧٧هـ، ومارسوا الظلم والجور طيلة ٣٠ عاماً، وقد بلغوا من القسوة والإقدام على سفك الدماء مبلغاً أن الجيوش كانت لا تجرأ على محاربتهم ومنازلتهم، وكان مجرد احتمال هجومهم على مكان ما، يكفي لإثارة الرعب والهلع في قلوب الناس.

٣. تقلص ثورات العلويين وتصاعد اجواء الكبت ضد الشيعة:

مارس العباسيون بعد ظهور صاحب الزنج والقرامطة وارتكابهم جرائم مروعة لا حصر لها، المزيد من الاضطهاد ضد الشيعة بذريعة انتساب هاتين الحركتين لها، مستهدفين بذلك تضييق الخناق عليهم من جهة، وانتزاع روح الأمل منهم بالإقدام على ثورات مسلحة من جهة أخرى.

ومع ذلك فإن ثورات العلويين لم تخمد، وظلت قائمة في موارد محدودة، حالف بعضها النجاح.

وسنشير هنا إلى نماذج من ثورات العلويين في هذا الدور:

- ثورة ابن الرضا "محسن بن جعفر": قام بدمشق عام ٣٠٠هـ، قال المسعودي، وهو يتحدث عنه: (وكان ظهور ابن الرضا وهو محسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر في أعمال دمشق في سنة ٣٠٠هـ، وكان له مع "أبي العباس أحمد بن كيغلغ) وقعة

فقتل صبراً، وقيل: قتل في المعركة وحمل برأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي).

- ثورة الحسن بن يحيى: قام باليمن ضد العباسيين عام ٢٧٨ هـ.

- ثورة الحسن بن القاسم، المعروف بالحسن الداعي: قام في بعض نواحي إيران عام ٣١٧هـ.

-ثورة أحمد بن محمد الطالبي: حارب جيش أحمد بن طولون بمصر وقتل.

٤. ظهور المهدي في شمال أفريقيا، وتأسيس الدولة الفاطمية بمصر.

ظهر شخص في شمال أفريقيا وادعى أنه المهدي الموعود، واستولى على مناطق واسعة عام ٢٩٦هـ، وبدأ ببناء مدينة المهدية بالمغرب في يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ٣٠٣هـ وجعلها عاصمة ملكه، وتوفي سنة ٣٢٢هـ، فخلفه ابنه محمد الملقب بالقائم.

٥. ظهور الدول المستقلة والمستقلة ذاتياً:

استغل الولاة وأمراء المناطق والنواحي تصدع الخلافة العباسية وضعفها، فاعلنوا عن استقلالهم الكامل أو المحدود، واندلعت في

بعض الأحيان انتفاضات قام الناس فيها بعزل الوالي العباسي وإخراجه، وتأسيس حكومة مستقلة وموالية لهم.

وقد انقسم العالم الإسلامي في عصر الغيبة الصغرى إلى ثلاثة أنظمة إسلامية تحت عناوين نظام الخلافة في آن واحد، وكل يدعي أنه هو الخليفة للعالم الإسلامي:

الأول: الحكومة العباسية في بغداد.

الثاني: الحكومة الأموية في قرطبة والإندلس.

الثالث: الحكومة الفاطمية في مصر.

ب. الوضع الاجتماعي:

استمر الوضع الاجتماعي الذي كان سائداً فيما مضى على ما هو عليه في هذا الدور الذي دام ٧٠ سنة أيضاً، ونذكر فيما يلي بعض الحوادث التي وقعت فيه والتي تدل على تدهور الأوضاع.

١. الاختلافات المذهبية والطائفية:

راجت في المجتمعات الإسلامية في هذا الدور -كسابقه- الاختلافات المذهبية والطائفية، دون أن تقتصر على الاختلافات المذهبية بين الشيعة والسنة، بل عمت لتشمل مذاهب أهل السنة فيما بينهم.

٢. الاختلافات القومية والقبلية:

كان للعباسيين والأتراك في هذه البرهة من الزمن نصيب الأسد في الحكومة المركزية دون سائر الأقوام، الأمر الذي أدى إلى تأسيس عشر دول ذات استقلال تام، أو محدود في الأصقاع الإسلامية، ومن أهم الدوافع وراء إنشائها هو تزايد حدة الاختلافات القبلية وعدم إقامة وزن للأقوام والقبائل المختلفة من قبل الحكومة المركزية.

٣. الفواصل الطبقية:

نظراً للتحول الذي طرأ على أهداف وحقيقة الفتوحات، فقد أصبحت حروب المسلمين عاملاً من عوامل ظلم الناس بدل أن تنقذهم من مخالبه، وكانت جيوش الخلفاء تقاتل بدوافع غير إسلامية، وتعامل الأسرى معاملة بعيدة عن تعاليم الإسلام دون أن تراعي حقوقهم الشرعية والإنسانية، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى غياب القيم الإسلامية من ذاكرة المجتمع، وسيادة التمايز الطبقي فيه، ومن جملة الطبقات التي ظهرت هي طبقة الرقيق والغلمان والجواري، حيث نفقت أسواق الرقيق في مصر وشمال أفريقيا وشمال الجزيرة العربية، وما ثورة صاحب الزنج إلا رد فعل لتلك الأوضاع الاجتماعية الوخيمة، والتي تركت وبالها على مجتمع ذلك الزمان، كما راج بيع

الجواري المغنيات، وكانت تشترى بأثمان باهظة، فقد إبتاع ابن الرائق في عام ٣٢٥هـ جارية ذات صوت حسن بمبلغ ٤٠٠٠ دينار.

٤. اللهو:

انتشر اللهو في أوساط الخلفاء والوزراء والأمراء والأشراف، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من السنن الاجتماعية، وعم معظم الخلفاء إلا القاهر بالله -حسب قول السيوطي- فإنه منع اللهو، وحظر مجالسه، وأمر باعتقال الجواري المغنيات، وكسر وتحطيم وسائل اللهو والطرب، ولم يقتصر هذا الوضع على بغداد أو سر من رأى، بل عم النواحي التي يحكمها الولاة والدول المستقلة ذاتياً، ففي مصر أنغمس أمراء الدولة الطولونية في اللهو والغناء، حتى بلغ الأمر أن "خمارويه" حاكم مصر الطولوني شيد قصراً من ذهب لتقام فيه حفلات الطرب واللهو.

٥. الإسراف والتبذير الواسع:

إن الإسراف والتبذير في حياة الخلفاء العباسيين بلغ حداً يصعب التصديق به، بل يكاد يحير العقول.

ج. الوضع الفكري:

نكتفي هنا باستعراض نقطتين لبيان الوضع الفكري في هذا الدور:

١. ظهور المنهج الأشعري:

ظهر في النصف الأول من القرن الثاني الهجري منهجان فكريان في العالم الإسلامي، نزع أحدهما إلى إلغاء قيمة العقل والاعتماد على ظواهر الآيات والروايات في فهم المسائل والحقائق، حتى لو كان ظاهر تلك الآيات والروايات على خلاف حكم العقل، ومثال ذلك أنه فسر (اليد) في الآية الكريمة ((يد الله فوق أيديهم...) بيد الله دون أن يمعن في معاني (اليد)، بينما تشير الآية إلى قدرة الله تعالى، فالله ليس بجسم لكي تكون لديه اعضاء وجوارح، ويطلق على أتباع هذا المنهج (أهل الحديث).

ووقف المنهج الآخر على النقيض منه، فأقام وزنا للعقل وأعطى أهمية كبيرة له، وبلغ هذا المنهج أوجه في عصر خلافة المأمون، وأطلق على أتباع هذا المنهج (المعتزلة) أو (مذهب الإعتزال).

يشار إلى أن مواجهات عديدة حدثت بين أهل الحديث والمعتزلة في عصر ما قبل الغيبة الصغرى، كان النجاح فيها حليف المذهب الإعتزالي أحياناً وحليف أهل الحديث أحياناً أخرى، ويعتمد ذلك إلى حد بعيد على مدى دعم جهاز الخلافة له، وقد دام تأرجح

ميزان النجاح والإخفاق بين أهل الحديث والمعتزلة حتى النصف الأول من القرن الرابع، أي مع ظهور أبي الحسن الأشعري، الذي كان يعتنق مذهب الإعتزال حتى الأربعين من عمره، ثم أعرض عنه وأسس على اطلال منهج أهل الحديث منهجاً جديداً، هو المنهج الأشعري، وقد حظي بانتشار واسع بفضل دعم وحماية المقتدر العباسي الذي حكم ٢٥ عاماً، من ٢٥٩ هـ إلى ٣٢٠ هـ على حساب الإعتزال، ومنذ ذاك التاريخ على وجه التحديد بدأ دور الإعتزال بالذبول والخمول على الساحة الفكرية تاركاً وراءه المنهج الأشعري يجول ويصول.

٢. تدوين المصادر الروائية:

منعت كتابة الحديث وتدوينه في أوائل القرن الأول الهجري بأمر من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب واستمر العمل بهذه السياسة إلى أن ألغيت في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني من قبل "عمر بن عبد العزيز" (٩٩-١٠١هـ)، لكن هذا الأمر لم يلق رواجاً إلا في ظل العصر العباسي الأول لاسيما عصر المأمون، حيث صنفت فيه كتب عديدة، منها أربعة كتب من أصل ستة كتب مهمة لأهل السنة عرفت فما بعد بالصحاح الستة، وهي:

١. (السنن)، لمحمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٧ - ٢٧٣ أو ٢٧٥ هـ).

٢. (السنن) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى عام ٢٧٥هـ.

٣. (الجامع الصحيح) المعروف بسنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ - ٢٩٧ هـ).

٤. (سنن النسائي) لأحمد بن شعيب النسائي (٢١٤ أو ٢١٥ - ٣٠٣ هـ).

وإضافة إلى هذه الكتب، فقد صنفت المئات من الكتب القيمة في هذا الدور منها: (فتوح البلدان) و (أنساب الأشراف) كلاهما للبلاذري (المتوفى عام ٢٨٩هـ)، و (الأخبار الطوال) للدينوري (المتوفى عام ٢٨٢هـ)، تاريخ اليعقوبي لأحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى ٢٨٤هـ و(تاريخ الطبري) و (تفسير الطبري) لابن جرير الطبري (المتوفى عام ٣١٠ هـ)، و(الفتوح) لأحمد بن أعثم الكوفي (المتوفى عام ٣١٤هـ).

الدرس التاسع

تاريخ الغيبة وبدايتها

المقدمة

بدأت الغيبة بعد استشهاد الإمام العسكري(عليه السلام) على يد المعتمد العباسي فكانت خسارة جسيمة لحقت بالمسلمين وغسله عثمان بن سعيد العمري وصلى عليه الإمام المهدي(عليه السلام).

وبعد ذلك غاب الإمام وبدأت السفارة في هذه المرحلة وكان سر من أسرار الله عز وجل.

وهي امتحان للإنسان الصالح وامتحان الناس كما انها نتيجة ظلم الناس بعضهم لبعض.

والانعتاق من بيعة طواغيت الزمان.

كما ورد عن الإمام الرضا(عليه السلام): (لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف).

وكانت الغيبة حفاظ على حياة الإمام المهدي(عليه السلام).

١. بداية الغيبة:

بدأت الغيبة الصغرى بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، ويتميز هذا الدور بميزتين: الأولى إمامة الإمام المهدي(عليه السلام) والاخرى سفارة ونيابة النواب الأربعة، ومع أخذ تلك الميزتين بنظر الاعتبار لا يعد دور الاختفاء جزء من الغيبة الصغرى.

٢. استشهاد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام):

ساور المعتمد العباسي القلق مما يتمتع به الإمام العسكري (عليه السلام) من مقام اجتماعي رفيع، ولما رأى أن سياسة الضغط التي مارسها ضد الإمام(عليه السلام) والرقابة الشديدة التي فرضها على تحركاته لم تجد نفعاً في الحد من اتساع قاعدته الشعبية وتعاظم نفوذه الروحي فحسب، بل أدت إلى ازدياد ميل الناس إليه، لما رأى ذلك عمد إلى قتله وتصفيته جسدياً عبر دس السم إليه وبهذا الأسلوب حرم الشيعة من الاستفاضة من أنوار هداية الإمام(عليه السلام).

استشهد الإمام العسكري(عليه السلام) في صبيحة يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول عام ٢٦٠هـ، عقب صلاة الصبح، ولما ذاع نبأ وفاته(عليه السلام) صارت ضجة كبرى في سر من رأى، وتقاطر الناس من كل صوب وحدب إلى داره وعطلت الأسواق وركب بنو هاشم والقواد وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة.

ولم تشهد سر من رأى مثل مراسم التشييع هذه من قبل، فقد اجتمعت فيها حشود ضخمة من مختلف طبقات المجتمع مع اختلاف توجهاتها وعقائدها، تحدثوا فيها عن فضائله ومناقبه، والخسارة الجسيمة التي لحقت بالمسلمين جراء ذلك.

وقام (عثمان بن سعيد العمري) بتغسيل الإمام(عليه السلام) وتكفينه ودفنه، وتقدم جعفر ليصلي على أخيه فلما هم بالتكبير خرج صبي، وقال: "تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي" فتأخر جعفر.

٣. قصة السرداب:

أين غاب الإمام المهدي(عليه السلام) وكيف؟ وهل غاب في السرداب، وهل ما يزال هناك؟

وقبل أن نجيب عن هذه الأسئلة، نشير إلى بعض التهم قد ألصقت بالشيعة في هذا المجال:

نظير اتهام الشيعة بالاعتقاد بهذه القصة المفتعلة وهي أن جلاوزة الخليفة العباسي هجموا على دار الإمام(عليه السلام) في سر من رأى لإلقاء القبض عليه، وكان الإمام(عليه السلام) في هذه الأثناء قد اختفى في السرداب، وما زال إلى الآن مختفياً فيه دون طعام أو شراب، وسوف يظهر يوما ما، وقد بلغت هذه القصة من الشهرة بمكان أنه لقب(عليه السلام) بصاحب السرداب.

بينما خلت المصادر الشيعية والكتب الإمامية عن أي ذكر للسرداب، وقد تمسك بها علماء أهل السنة في كتاباتهم ليتخذوا ذريعة للنيل من الشيعة، ظناً منهم أن الشيعة سوف تبحث عن إمامها في السرداب، وتتوقع ظهوره في هذا المكان، من هنا فقد كالوا التهم للشيعة دون أن يتجشموا عناء البحث والتتبع في المصادر الشيعية.

فحقيقة الأمر إن الإمام المهدي(عليه السلام) اختفى منذ ولادته لمصلحة، ودخل في الغيبة الصغرى بعد وفاة والده(عليه السلام)، ولما أقام الإمام المهدي(عليه السلام) الصلاة على جنازة أبيه(عليه السلام) ودفنه دخل داره ومنذ ذاك الوقت لم يره أحد، واستناداً إلى الروايات فإن الإمام(عليه السلام) يعيش بين الناس ويحضر مراسم الحج ويراهم إلا أنهم لا يرونه.

إن الدار التي تقدم الكلام عنها تتألف من قسمين: قسم خاص بالرجال وآخر بالنساء، ومن سرداب يلجأ إليه في أيام الحر القائظ.

وتكن الشيعة إحتراماً لهذه الدار والسرداب، لأنها دار الإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام) والإمام المهدي(عليه السلام) وقد عبدوا الله فيها، وهذا أمر معقول وطبيعي، لأن كل من أحب شيئاً أحب لوازمه، وهكذا الحال في الأديان والمذاهب، وانطلاقا من هذا الحب فإن الشيعة تحترم الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة، وتعتبرها من مصاديق قوله تعالى: ((في بيوت أذن الله أن ترفع...)).

وجملة القول: إن حكاية غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) في سرداب سر من رأى، وأنه حي ما زال فيه، مجرد افتراء وبهتان، ولا ولن تعترف بها عامة الشيعة فضلاً عن أكابرهم وأعيانهم.

فلسفة الغيبة:

لاشك أن مبحث فلسفة الغيبة وأمثاله كدور الانتظار، وسيرة الإمام المهدي(عليه السلام) وآثاره، وعلة طول عمر الإمام(عليه السلام) والحوادث التي ترافق أو تعقب ظهوره وغير ذلك، هي من جملة المباحث الكلامية والعقائدية، الفاقدة لأية صبغة تاريخية، ويجب أن تناقش في محلها المناسب على نطاق واسع، إلا أن هذا لا يمنع من الإشارة إلى تلك المباحث ولو على نحور الاختصار، ومن هنا سوف نلقي نظرة خاطفة على بعض الروايات، لنستشف من على لسان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام) أية حكمة مطوية في غيبة الإمام المهدي(عليه السلام).

١. سرٌ من أسرار الله:

غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) سر من أسرار الله، لا ينكشف إلا بعد ظهوره، روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "يا جابر إن هذا لأمر من أمر الله وسر من سر الله مطوي عن عباده" وقال الإمام الصادق(عليه السلام): "إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل، فقلت: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه

لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله -تعالى ذكره- إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر(عليه السلام) من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسى(عليه السلام) إلى وقت افتراقهما.

٢. امتحان الإنسان الصالح وغربلته:

ورد في بعض الروايات إن حكمة غيبة صاحب الزمان(عليه السلام) هي غربال الإنسان الصالح وامتحان الناس.

وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام): "أما والله لأقتلن أنا وابناي هذان، وليبعثن الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبن عنهم تمييزاً لأهل الضلالة، حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد من حاجة.

وقال الإمام الحسين(عليه السلام): "له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت على الدين فيها آخرون فيؤذون، ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، أما أن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)".

وقال الإمام الصادق(عليه السلام): "وهو المنتظر غير أن الله -عز وجل- يحب أن يمتحن الشيعة".

وقال الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) في هذا الصدد: "يا بني أنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله -عز وجل- امتحن بها خلقه".

٣. ظلم الناس:

ورد في بعض الروايات إن فلسفة الغيبة هي نتيجة ظلم الناس بعضهم لبعض، روي عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أنه قال في مسجد الكوفة: "واعلموا أن الأرض لا تخلو من حجة الله -عز وجل- ولكنم الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم".

٤. الانعتاق من بيعة طواغيت الزمان:

ورد في بعض الروايات إن علة وحكمة غيبة الإمام المهدي، هي من أجل أن لا تكون في عنقه بيعة لطواغيت الزمان، تمنعه من الانطلاق بحرية زمن ظهوره، وأن لا يلتزم بالتقية مثل سائر أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، الذين بايعوا حكامهم عن تقية، ولولا الغيبة ما تيسر له هذا الأمر، وإلى هذا أشار الإمام الحسن(عليه السلام) بقوله: "ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإن الله -عز وجل- يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة اذا خرج، ذاك التاسع من ولد أخي الحسين".

وقد وردت روايات أخرى بنفس المضمون عن سائر أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، فقد روي عن الإمام السجاد(عليه السلام) أنه قال: "وليس لأحد في عنقه بيعة"، كما روي عن الإمام الرضا(عليه السلام) أنه قال: "لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة اذا قام بالسيف".

وهكذا التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة لإسحاق بن يعقوب بواسطة محمد بن عثمان العمري، إذ جاء فيه: "وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله -عز وجل- يقول: ((يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم)) أنه لم يكن لأحد من آبائي: إلا وقد وضعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وأني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي".

٥. الحفاظ على حياة الإمام المهدي(عليه السلام):

إن الله عز وجل حافظ على حياة الإمام(عليه السلام) من كيد أعدائه بواسطة الغيبة، ولولا الغيبة لاستشهد(عليه السلام) على يد المعتمد العباسي الذي بدا تواقاً لسفك دمه(عليه السلام)، كما سفك دم آبائه الطاهرين(عليهم السلام)، ولخلت الأرض من الحجة، وقد وردت روايات عديدة في هذا الصدد عن الأئمة المعصومين(عليهم السلام).

يقول الإمام الباقر(عليه السلام): "إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولم، قال: يخاف".

وقد كتب الشيخ الطوسي حول فلسفة الغيبة، يقول: (وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة وصعوبة الأمر عليهم واختبارهم للصبر عليه، فالوجه فيها الأخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق لا أن الله تعالى غيب الإمام ليكون ذلك، وكيف يريد الله ذلك وما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلم منهم لهم ومعصية والله تعالى لا يريد ذلك، بل سبب الغيبة هو الخوف.

٦.الاستعداد العالمي:

يتطلب ظهور الإمام المهدي(عليه السلام) بأعتباره خاتم الاوصياء، ومنجي البشرية ،ومن ينشر الاسلام في كافة ربوع العالم ويظهره على الاديان قاطبة ارضية عالمية صالحة،ومن هنا تتاكد الحاجة إلى تمهيد مقدمات قبوله في العالم،لكي يتحقق هذا الهدف،وعليه يمكن القول ان غياب تلك الارضية في العالم يعد من فلسفة غيبة الإمام المهدي(عليه السلام).

خصوصيات عصر الغيبة الصغرى:

وكما مر آنفاً فان للإمام المهدي(عليه السلام) بعد دور الاختفاء،ووفاة الإمام العسكري(عليه السلام) غيبتين:

١.الغيبة الصغرى(٢٦٠-٣٢٩هـ).

٢.الغيبة الكبرى(من ٣٢٩هـ) حتى الوقت الحاضر.

خصوصيات عصر الغيبة الصغرى هي:

أولا: زمن الغيبة الصغرى محدود،ولكن أمد الغيبة الكبرى لا يعلمه احد سوى الله تعالى.

ثانيا:لم يكن الإمام(عليه السلام) متواريا عن الانظار بصورة عامة في عصر الغيبة الصغرى.

ثالثا:كان للامام المهدي(عليه السلام) اربعة وكلاء في عصر الغيبة الصغرى،حيث اصدر حكم وكالته كلا على حدة.

رابعا:قد يتيسر لبعض الاشخاص رؤية الإمام المهدي(عليه السلام) ومعرفته في عصر الغيبة الصغرى،ولكن قد لا يراه احد البتة في عصر الغيبة الكبرى،واذا رآه لا يعرفه.

وإذا كان بعض الخواص قد شاهدوه وعرفوه فلا يحق لهم إشاعة ذلك، إلا بإذن الإمام(عليه السلام) أو من يوثق بهم.

وقوع اختلافات بعد استشهاد الإمام العسكري(عليه السلام) وخلفياتها:

بدأ الجهاز الحاكم -ولأجل الخصوصيات التي ذكرناها- يفقد مصداقيته أمام الرأي العام خلافاً لأئمة أهل البيت(عليهم السلام) الذين كان يحظون بقواعد شعبية رصينة.

هذا الإقبال العام على الأئمة(عليهم السلام) أدى إلى تضييق الخناق عليهم وممارسة المزيد من الجور والقمع ضدهم، حتى بلغ الحال أن وقعت دار الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) في قبضة الحكومة لتحول بذلك الشيعة من الاتصال به(عليه السلام).

وكانت بصدد قتل نجل الإمام العسكري(عليه السلام) إن رزق به وقد أجبرت أجواء الكتب والاضطهاد الإمام(عليه السلام) على ممارسة سقف عال من التقية، وكان(عليه السلام) كثير الحيطة والحذر ومن جملة التدابير الاحتياطية التي قام بها هو اخفاء أمر ولادة الإمام المهدي(عليه السلام).

إن إخفاء هذه الولادة أدى ببعض الشيعة -بعد وفاة العسكري(عليه السلام)- إلى الإنجرار في دوامة الشك إزاء إمامة الإمام الثاني عشر(عليه السلام).

الدرس العاشر

النواب الاربعة

المقدمة

كان للإمام المهدي(عليه السلام) أربعة سفراء في عصر الغيبة الصغرى، عرفوا بـ ((النواب الأربعة)) وهم على الترتيب: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري وأبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري وأبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، وأبو الحسن علي بن محمد السمري، وقد تولوا مهام السفارة طيلة ٧٠ سنة، عرفت بفترة الغيبة الصغرى، تولى المهمة الأخيرة السمري آخر سفير للإمام المهدي(عليه السلام) كما تم الحديث عنه.

وكان ثمة أسلوبان لاتصال السفراء بالشيعة: بواسطة الوكيل أو بلا واسطة، أما الأصل في منظومة الوكالة فهو الاتصال مع الواسطة.

والمهام الملقاة على عاتق النواب الأربعة هي:

١. رفع شك وحيرة الناس إزاء وجود الإمام المهدي(عليه السلام).

٢. الحفاظ على الإمام(عليه السلام) من خلال كتمان اسمه ومكانه.

٣. إدارة منظومة الوكالة.

٤. الإجابة عن الاستفسارات الفقهية والشبهات العقائدية.

٥. إعداد الناس لقبول الغيبة الكبرى.

ومن بين هذه المهام، تولى عثمان بن سعيد المهمة الأولى أكثر من غيره من النواب.

نصب النواب الأربعة:

عين الإمام المهدي(عليه السلام) في عصر الغيبة الصغرى أربعة نواب للشيعة، كانوا على جانب كبير من التقوى والورع والعلم، وهم:

١. أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري.

٢. أبو جعفر، محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣. أبو القاسم، حسين بن روح النوبختي.

٤. أبو الحسن، علي بن محمد السمري.

وقد نقل الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) معلومات وافرة عنهم وعن نشاطاتهم، وسوف نستوفي البحث عنهم تحت عناوين أربعة، هي:

أ. النواب الأربعة.

ب. معيار نصب النواب الأربعة.

ج. كيفية اتصال النواب الأربعة بالشيعة.

د. وظائف ومسؤوليات النواب الأربعة.

أ. النواب الأربعة:

١. أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري:

وهو أول نائب وسفير للإمام المهدي(عليه السلام) وله مكانة رفيعة لدى الشيعة، وكان يخدم الأئمة(عليهم السلام) منذ نعومة أظفاره وتزعم منظومة الوكالة في السنوات العشر الأخيرة من حياة الإمام الهادي(عليه السلام)، ومن ثم أصبح وكيلاً خاصاً للإمام المهدي(عليه السلام).

روى الشيخ الطوسي عن جماعة: "دخلنا على أبي محمد الحسن(عليه السلام) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه، فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن... إلى أن قال الحسن(عليه السلام) لبدر: فأمض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد(عليه السلام): امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال.

ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وأنه وكيلك وثقتك على مال

الله تعالى: قال: نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم".

وفي رواية ثانية رواها الشيخ الطوسي في الغيبة عن جماعة من الشيعة منهم (علي بن بلال) و (أحمد بن هلال) و (محمد بن معاوية بن حكيم) و (الحسن بن أيوب بن نوح) انهم قالوا: "اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي(عليه السلام) نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً... ثم خرج لنا غلام كأنه قمر أشبه الناس بأبي محمد، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا فتهلكوا في أديانكم،إلا أنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا فاقبلوا من (عثمان بن سعيد العمري) ما يقوله، وانتهوا لأمره واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه".

ولما توفي الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) غادر عثمان بن سعيد سر من رأى إلى بغداد، وحط رحله في الكرخ إلى آخر عمره يتعهد أمور الوكالة، وكان يتسلم الكتب والأموال التي ترسل إلى الناحية المقدسة من الشيعة.

ورغم أن عثمان بن سعيد العمري قام بدور مهم في تاريخ الشيعة إلا أن تاريخ وفاته ظل مجهولاً، رغم سعي المؤرخين لكشف النقاب عنه فقد كتب هاشم معروف الحسني يقول: ((استمرت سفارة عثمان بن سعيد إلى سنة ٢٦٥هـ)) دون أن يذكر المصدر الذي استند

إليه، وكتب جواد علي: (بعد مضي ٢٠ عاماً على غيبة الإمام الثاني عشر(عليه السلام) توفي سفيره الأول عام ٢٨٠هـ).

وقيل: اتفقت وفاة عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) وقبل عام ٢٦٧هـ، ذلك لأن أحمد بن هلال ادعى السفارة كذباً وإفتراء في زمن محمد بن عثمان السفير الثاني للإمام(عليه السلام) فقام الأخير بدفع أكذوبته ورد سفارته، ومن الواضح أن أحمد بن هلال توفي عام ٢٦٧هـ فتكون وفاة عثمان بن سعيد العمري قبل هذا التاريخ قطعا.

٢. محمد بن عثمان بن سعيد العمري:

ويكنى أبا جعفر وهو ثاني سفير ونائب خاص للإمام المهدي(عليه السلام) عين وكيلاً وسفيراً بعد وفاة والده، وكان قد عين زمن وفاته قبل حلوله بشهرين، فحفر لنفسه قبراً ورحل إلى ربه في اليوم الموعود.

٣. أبو القاسم، الحسين بن روح النوبختي:

وهو ثالث نائب وسفير خاص للإمام المهدي(عليه السلام) أوصى له السفير الثاني محمد بن عثمان العمري زمن حياته بأمر من الناحية المقدسة، وقام بتعريفه لخواص الشيعة ووكلاء الإمام(عليه السلام) واتخذ في أواخر عمره تدابير خاصة، لكي لا يواجه الشيعة صعوبة في أمر النيابة

والوكالة، وقد تصدى لمهام النيابة بعد وفاة محمد بن عثمان في جمادي الأولى عام ٣٠٥هـ.

وقام بأعبائها إلى عام ٣٢٦هـ، أي لمدة ٢١ سنة، وتوفي في الثامن عشر من شعبان من نفس السنة، ودفن ببغداد في سوق الشورجة، وأصبح قبره مزاراً للشيعة، وأوصى بأمر من الإمام المهدي(عليه السلام) إلى ابي الحسن بن محمد السمري.

٤. أبو الحسن، علي بن محمد السمري:

وهو رابع وآخر نائب خاص للإمام المهدي(عليه السلام) تسلم مقاليد النيابة بعد وفاة الحسين بن روح النوبختي بأمر من صاحب الأمر وتصدى لها من ١٨ شعبان عام ٣٢٦هـ إلى ١٥ شعبان عام ٣٢٩هـ وحسب نقل آخر إلى ١٥ شعبان عام ٣٢٨هـ.

وكان السمري زوج أخت الوزير العباسي جعفر بن محمد، وهذه العلاقة مهدت له السبل لتولي منصب مهم في الجهاز العباسي.

وكان ينحدر من أسرة دينية شيعية، واشتهر بحسن سيرته ومعاملته وأمانته، وقد أدى ذلك إلى عدم مواجهته لأية صعوبات حين تصديه للوكالة، وكان يتردد إليه الوكلاء وخواص الشيعة ويسلمون إليه الأموال الشرعية ليوصلها إلى الناحية المقدسة.

وقبل وفاته بستة أيام صدر آخر توقيع من الإمام المهدي(عليه السلام) أعلن فيه انقطاع عهد السفارة بوفاة السمري، وانتهاء أمد الغيبة

الصغرى وبدء عصر الغيبة الكبرى، وإليك نص هذا التوقيع: "بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر أخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية التامة فلا ظهور إلا بعد أذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

روى الشيخ الصدوق عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب أنه قال: ((كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي بها الشيخ علي بن محمد السمري، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً، فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه ومضى رضي الله عنه، فهذا آخر كلام سمع منه)).

ومنذ ذاك التاريخ انقطع الاتصال بين النواب الخواص والإمام المهدي(عليه السلام) وبدأت الغيبة الكبرى.

وذكر المشهور أنه توفي في النصف من شعبان سنة ٣٢٩هـ، ولكن الشيخ الصدوق ذهب إلى أنه توفي في النصف من شعبان عام ٣٢٨هـ.

نكات عدة حول آخر توقيع للناحية المقدسة:

١. أخبر الإمام المهدي(عليه السلام) في هذا التوقيع (أبا الحسن علي بن محمد السمري) بوفاته بعد ستة أيام، وتوفي فعلا في اليوم الموعود، هذا التنبؤ وتحققه في اليوم الموعود يكشف عند الإمامية عن حتمية صدوره عن الإمام المهدي(عليه السلام).

٢. قال الإمام المهدي(عليه السلام) في هذا التوقيع: "فاجمع امرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك" هذه الجملة تدل بوضوح على انتهاء الاتصال بين الإمام(عليه السلام) وبين نوابه، وبغيابهم منذ ذاك التاريخ على وجه التحديد انقطع اتصال الناس بالإمام(عليه السلام).

٣. بين في هذا التوقيع أمد انتهاء الغيبة الصغرى وبداية الغيبة الكبرى.

٤. سوف يكون ظهور الإمام المهدي(عليه السلام) بإذن الله ولا يعلم زمانه أحد.

٥. وردت في هذا التوقيع علامتان لظهور الإمام المهدي، احداهما خروج السفياني، والاخرى الصيحة من السماء.

ب. معيار تنصيب النواب الأربعة:

عين الأئمة(عليهم السلام) -كما تقدم في المباحث السالفة- العديد من الوكلاء، وقد إزداد عددهم في زمن الإمام العسكري(عليه السلام) حتى بلغ

العشرات، والسؤال المطروح هو كيف اقتصر الإمام(عليه السلام) من كل هذا الجمع الغفير من الوكلاء على أربعة نواب في عصر الغيبة الصغرى؟وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي القول بأن سفراء الإمام المهدي(عليه السلام) إضافة إلى حيازتهم للشروط العام، نظير: الإيمان، التقوى، الدراية، إطاعة الله سبحانه.

لابد من تمتعهم بشروط خاصة وهي:

١. التزام الحذر وممارسة التقية:

مارس السفراء الأربعة مستوى عال من التقية والسرية بسبب الظروف المحيطة بهم وتعقيدها، وقد تجلى ذلك في مسلك الحسين بن روح على نحو أن علماء المذاهب الأخرى كانوا ينسبونه إليهم، وقد بلغ به الحال في رعاية التقية أن بواباً له كان قد لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده وصرفه عن خدمته.

لم يدخر الأعداء وسعهم في تتبع نقاط الضعف لدى سفير الإمام(عليه السلام) أو نائبه من أجل الظفر بالإمام المهدي(عليه السلام) لذا كان يجب على السفير أن يكون أشد الناس صبراً ومقاومة.

(قيل لأبي سهل النوبختي: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟، فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه، لعلي كنت أدل على مكانه،

وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله، وقرض بالمقاريض لما كشف الذيل عنه).

٣. السفراء اكثر فهما وعقلا ودراية من الآخرين:

هم اكثر دراية من غيرهم ذو عقل راجح، نقل الشيخ الطوسي في كتابه القيم (الغيبة) رواية تدل على دراية نواب الإمام المهدي(عليه السلام) ص٢٣٦.

٤. كان الإمام المهدي ينتخب نوابه من الأشخاص الذين لا يشعر الجهاز العباسي تجاههم بالخطر:

لأن الوكالة أمر سري ومهم للغاية، فمثلاً: كان (أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري) الملقب بالزيات أو السمان يدير أمور الوكالة تحت غطاء بيع السمن، ولم يدر في خلد الحكومة أنه سفير الإمام(عليه السلام)، وكان السفير الثاني (أبو جعفر محمد بن عثمان) كأبيه بائعاً للسمن والزيت، وكان السفير الثالث من آل نوبخت الذين يتمتعون بنفوذ في البلاط، الأمر الذي يسر له إدارة أمور الوكالة دون أن يثير أية شكوك حول علاقته بالإمام المهدي(عليه السلام).

ج. كيفية اتصل النواب الاربعة بالشيعة:

كان للشيعة اسلوبان للاتصال بالنواب الأربعة، أحدهما غير مباشر (بالواسطة)، والآخر مباشر (دون واسطة).

١. الاتصال غير المباشر:

الاتصال غير المباشر هو الأصل في عمل منظومة الوكالة الذي لم يكن قادراً على إعلان نشاطه بسبب جور العباسيين، الأمر الذي اضطرهم إلى اتباع أساليب خفية يمثل فيها الوكلاء حلقة الوصل بين الائمة(عليهم السلام) وبين الناس فيستقبلون مسائلهم ومشاكلهم ويقبضون منهم الحقوق الشرعية، وكان النواب ينقلون كل ذلك إلى الإمام(عليه السلام) ويستلمون منه الأجوبة، فكان السفير بمنزلة رأس الهرم، والوكلاء والخواص جسم الهرم، والناس قاعدته.

هذا الاتصال الهرمي كان رائجاً بين الشيعة في بغداد، ثم أخذ بالانتشار إلى بقية المناطق، وكان لأبي جعفر محمد بن عثمان عشرة وكلاء في بغداد، منهم (الحسين بن روح)، وكانوا في الظاهر وكلاء له في الأمور التجارية، ولكن في الواقع كانوا وكلاء في أموال الإمام المهدي(عليه السلام).

٢. الاتصال المباشر:

هذا الاتصال كان مفقوداً في بداية نشاط النواب الأربعة في عصر الغيبة الصغرى، لأن الهدف كان أن تبقى مسألة النيابة الخاصة طي الكتمان والخفاء، وما نشاطها السري إلا كرد فعل على جور بني العباس.

وقد علم الشيعة باسم السفير عن طريق الوكلاء والخواص، الأمر الذي مكنهم من الاتصال به مباشرة، وقد بدأ كل ذلك في عهد السفير الثاني.

د. وظائف النواب الأربعة ومسؤولياتهم:

إن المحاور العامة التي تندرج تحتها نشاطات النواب الأربعة، هي كالتالي:

١. رفع الشك والحيرة عن الناس بشأن وجود الإمام المهدي(عليه السلام).

٢. الحفاظ على الإمام(عليه السلام) من خلال إخفاء اسمه ومكانه.

٣. تولي مهام السفارة والنيابة.

٤. الإجابة عن المعضلات الفقهية والعقائدية.

٥. استلام أموال صاحب الزمان(عليه السلام) وتوزيعها.

٦. مجابهة الغلاة والمدعين الوكالة والنيابة كذباً، وفضح إدعاءاتهم الباطلة.

٧. مواجهة الوكلاء الخونة.

٨. إعداد الناس لقبول الغيبة الكبرى.

نصب وكلاء للمناطق الشيعية في عصر الغيبة الصغرى:

ثمة وكلاء آخرون للإمام المهدي(عليه السلام) -إلى جانب النواب الأربعة- في نقاط مختلفة من العالم الإسلامي، وكانت وظائفهم تشبه وظائف وكلاء الأئمة(عليهم السلام) إلا أنهم كانوا يرجعون إلى النواب الأربعة لتعيين حدودها.

الدرس الحادي عشر

الوكلاء ومدعو النيابة كذباً

المقدمة

أسماء الوكلاء الخونة والمدعي لها كذباً وإفتراء وما هي الدوافع وراء ذلك إلى جانب بيان الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة في هذا الدور.

الوكلاء الخونة ومدعو النيابة كذباً:

إن منظومة الوكالة قد شهد ظهور انحرافات لدوافع مختلفة، هذه الانحرافات يمكن تقسيمها إلى صنفين: صنف طرأ على من كان وكيلاً منصوباً من قبل الإمام(عليه السلام) ثم سقط في الفساد والخيانة وصنف آخر طرأ على من لم تكن لديه سابقة في الوكالة والنيابة للإمام(عليه السلام)، ولكن أدعى البابية ونيابة عنه(عليه السلام) كذباً وإفتراء، فالتف حوله رهط من الناس ثم بان أمره، وافتضح هذان الصنفان ظهرا في وقت مبكر من إنشاء منظومة الوكالة، كما ظهرا في عصر الغيبة الصغرى أيضاً، حيث أخذ نشاطهما بالتوسع ولعل السبب وراء

ذلك هو غياب الإمام(عليه السلام) وإحالة الأمر إلى نوابه ووكلائه مما فسح المجال أمامهما لانتهاز الفرصة.

لذا نتطرق بداية إلى الصنف الأول، أي: الفساد والخيانة التي ارتكبها بعض وكلاء الأئمة(عليهم السلام) ومعرفة رموزه والدوافع وراء ذلك، ثم نعرج على الصنف الثاني.

أ. الخيانة والفساد في منظومة الوكالة:

على الرغم من أن الأئمة(عليهم السلام) كانوا في غاية الحيطة والحذر في تعيين الوكلاء، وكانوا يختارون من يثقون به وتتوفر فيه الشروط اللازمة، ولكن مع ذلك يبقى الوكيل كأي إنسان آخر بحاجة إلى تهذيب النفس ليتخلص من مكائد الشيطان، فهو في كل لحظة مهدد بالسقوط في هوة سحيقة من الزيغ والضلال، وقد ظهر في أواسط وكلاء الأئمة(عليهم السلام) من حاز على الشروط اللازمة للوكالة في بداية الأمر،. وبعد تسلمه لهذا المنصب ظهرت خيانته لاسيما لمن كانت له خلفيات صالحة لها، وانتهى به الأمر إلى اللعن والعزل والطرد من قبل أئمة أهل البيت(عليهم السلام).

وبالطبع لا يمكن أن نعزو جميع أنواع الخيانة والفسق إلى منشأ واحد، بل أن الدوافع وراء ارتكابها مختلفة، مع إمكان إرجاع الجميع باعتبار إلى عدم تهذيب النفس، ومن جملة هؤلاء الخونة الواقفية.

ويمكن أن نذكر من الوكلاء الخونة ما يلي:

١. هشام بن إبراهيم العباسي الهمداني:

كان في البداية وكيلاً للإمام الرضا(عليه السلام)، ولكن إنحرف عنه فيما بعد، وأصبح عيناً للمأمون والفضل بن سهل على الإمام(عليه السلام).

٢. فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني:

كان من أتباع الإمام الهادي(عليه السلام) في سامراء، ثم خان الإمام(عليه السلام) والشيعة خيانة أصدر الإمام(عليه السلام) على أثرها أمراً بقتله.

٣. عروة بن يحيى:

كان نقيب وكلاء الإمام الهادي(عليه السلام)، والإمام العسكري في بغداد، وكان الإمامان(عليهما السلام) قد وضعا كامل ثقتهما فيه حتى أن الإمام العسكري أطراه في توقيع له قائلاً: "وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا" إلا أنه كنظيره فارس بن حاتم قام باختلاس أموال الإمام(عليه السلام)، ولم يتنزه عن اتهام الإمام الهادي(عليه السلام) بالكذب، وبلغ في إنحرافه مبلغاً أنه سرق أموال الإمام العسكري(عليه السلام) وأحرق الباقي منها، وبهذا الفعل الشنيع أثار غضب الإمام(عليه السلام)، فدعا عليه ولم يلبث بعدها طويلاً حتى هلك.

٤. أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني:

كان عالماً صالحاً مستقيماً، تنسب له عدة كتب منها: (التكليف) و (العصمة) و (الزاهر بالحجج العقلية) و (المباهلة) و (الأوصياء) وغيرها، وقد بلغ من ثقة الحسين بن روح مبلغاً أنه جعله وكيلا عنه أيام استتاره عن المقتدر العباسي، وكانت الشيعة تتردد إليه في حوائجها، وكانت تخرج عنه توقيعات صادرة عن الإمام المهدي(عليه السلام).

إلا أن الحسد الذي كان يحمله تجاه أبي القاسم الحسين بن روح قاده إلى العزوف عن المذهب الحق والولوج في مذاهب باطلة أجرت على لسانه كلمات غير صائبة، ثم مال إلى الغلو والكفر والارتداد والتناسخ وحلول الألوهية فيه، فكان يقول لأتباعه: روح رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حلت في أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وروح امير المؤمنين(عليه السلام) حلت في جسم أبي القاسم الحسين بن روح، وروح فاطمة(عليها السلام) حلت في جسم أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري، ثم بين بأن هذا سر عظيم وحذر اتباعه من مغبة إفشائه.

وكانت له منزلة رفيعة عند بني بسطام، وكان -أثناء ارتداده- يسند كل كذب وكفر إلى ابن روح، وينقله إلى بني بسطام، وحينما وصل نبأ ذلك إلى ابن روح منع بني بسطام من اتباعه وأمر بلعنه والتبريء منه، إلا أنهم ظلوا يتبعونه، لذا بعث إليهم كتاباً كرر فيه ذلك اللعن والبراءة.

ان اتساع رقعة الضلال في بني بسطام، دعا ابن روح إلى إشاعة خبر اللعن وانحراف الشلمغاني في أوساط الشيعة لاسيما بن نوبخت وأمرهم بلعنه والبراءة منه، ثم صدر توقيع من الناحية المقدسة(عليها السلام) لأتباعه بلعن الشلمغاني والبراءة منه، هذا التوقيع صدر في وقت كان ابن روح في سجن المقتدر، وقد تم نشره بين الأصحاب على يد أبي علي محمد بن همام، ووقف عليه كافة رؤساء الشيعة، فأجمعوا على لعنه والبراءة منه.

وحين أحس الشلمغاني بالتحدي والمجابهة من قبل الشيخ ابن روح ومناصريه، أراد ان يباهله حتى يضع المجتمع أمام الواقع، وذلك أنه بعد أن اشتهر أمره وتبرأ منه ابن روح اجتمع الشلمغاني بجماعة من رؤساء الشيعة في مجلس الوزير ابن مقلة (وزير الراضي بالله عام ٣٢٢هـ)، فوجد أن كل فرد منهم يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه، فقال: اجمعوا بيني وبينه حتى آخذ بيده ويأخذ بيدي فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه وإلا فجميع ما قاله في حق. فبلغ ذلك إلى الراضي فأمر بالقبض عليه وقتله، فقتل واستراحت الشيعة منه.

ب. مدعو النيابة والبابية كذباً:

للوكالة عن الإمام المعصوم(عليه السلام) عند الشيعة مقام رفيع، وكل من اختير وكيلاً أو باباً له(عليه السلام) كان يحظى باحترام الشيعة

وبمنزلة اجتماعية متميزة لديهم، ويعد الوكلاء أمناء الإمام والشيعة نظراً إلى أن أحد أهم النشاطات التي يقومون بها هي استلام الأموال الشرعية المتعلقة بالإمام(عليه السلام).

هذا الأمر -الى جانب بعض الدوافع الدنيوية- أدى ببعض الأشخاص إلى ادعاء الوكالة والبابية كذباً، وقد قلنا إن هذا الإدعاء ناشيء أساساً عن حب الجاه والطمع في المال، وقد ينشأ عن عقائد فاسدة، وإليك أسماء بعض من ادعى السفارة كذباً وافتراء.

١. أبو عبد الله أحمد بن محمد السياري:

ادعى الوكالة كذباً في عهد الإمام الجواد(عليه السلام) فرده الإمام(عليه السلام).

٢. الحسن بن محمد بن بابا القمي:

كان من الغلاة في عصر الإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام)، واستنادا إلى رواية الكشي فقد نسب الإمام العسكري(عليه السلام) ادعاء النبوة والبابية إليه، وكتب إلى أحد اتباعه (ويعرف بالعبيدي) يقول: "إبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فإبرأ منهما فأني محذرك وجميع موالي، وأني ألعنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذيين آذاهما الله واركسهما في الفتنة ركسا،

يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله سخر منه الشيطان فاغواه فلعن الله من قبل منه ذلك.

يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل، فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة".

٣. أبو محمد الشريعي:

وهو أول من ادعى النيابة والبابية كذباً في عصر الغيبة الصغرى، وقد ذكر الشيخ الطوسي إن اسمه (حسن) وكنيته (أبو محمد)، وكان من أصحاب أبي الحسن الهادي(عليه السلام) والإمام العسكري(عليه السلام)، وهو أول من ادعى هذا المقام في عصر الغيبة ولم يكن أهلاً له، ولذا لعن من قبل الشيعة، وصدر بحقه توقيع من الإمام(عليه السلام) بلعنه والبراءة منه، وسمع منه كلام كفر وإلحاد، ولم ينقل لنا التاريخ من أخباره إلا هذا القدر اليسير.

٤. محمد بن نصير النميري الفهري:

كان الفهري -حسب ما نقله الشيخ الطوسي- من أصحاب الإمام العسكري(عليه السلام)، وقام بمخالفة السفير الثاني مدعياً النيابة والبابية له، ولكن الله تعالى فضحه لكفره وإلحاده، كما لعنه السفير الثاني محذراً الشيعة من الإقتراب منه، ونقل أنه بعد لعنه من قبل أبي

جعفر العمري، أراد محمد بن نصير الاجتماع به إلا أن العمري لم يأذن له.

ومن جملة عقائده الفاسدة ادعاء ألوهية الإمام الهادي(عليه السلام)، وأنه أرسل من طرفه نبياً، كما ذهب إلى القول بالتناسخ والغلو في حق الإمام الهادي(عليه السلام)، كما اعتقد بإباحة المحارم ونكاح الذكور، وإن الله لم يأمر بتحريمهما، وقد لقيت أفكاره تلك دعماً وتاييداً من قبل (محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات) وزير المقتدر العباسي، مما يدل على الوضع المزري الذي آلت إليه الخلافة والحكومة في ذلك العصر.

٥. الحسين بن منصور الحلاج:

كان صوفياً مشهوراً، كتب عن سيرته وحياته الشيء الكثير، ووثقه بعضهم واعتبروه من أولياء الله، ولكن ما يستشف من المصادر الشيعية أنه من الكذابين، وقد ورد ذم كثير في حقه.

وللشيخ المفيد كتاباً تحت عنوان (الرد على أصحاب الحلاج)، كما نقل الشيخ الطوسي ما دار بين الحلاج والحسين بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (والد الشيخ الصدوق) وأبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي وهو يدل على أن أمر إنحرافه وضلاله كان واضحاً لدى أعيان الشيعة.

كما لعن الحلاج مع الهلالي والبلالي في التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة.

ومن جراء ذلك ألقى الخليفة العباسي القبض عليه، ثم قتله لأجل غلوه وعقائده الباطلة.

وقد كتب الشيخ البهائي عنه في كشكوله يقول:

جمع أهل بغداد على إباحة دمه ووضعوا خطوطهم في محضر يتضمن ذلك وهو يقول الله في دمي فإنه حرام، ولم يزل يردد ذلك، وهم يثبتون خطوطهم، وحمل إلى السجن وأمر المقتدر بالله بتسليمه إلى صاحب الشرطة ليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا يضربه حتى يموت ألفاً أخرى، ثم يضرب عنقه، فسلمه الوزير إلى الشرطي، وقال له إن لم يمت فاقطع يديه ورجليه وحز رأسه وأحرق جثته، فتسلمه الشرطي وأخرجه إلى باب الطاق يتبختر في قيوده واجتمع خلق كثير وضربه ألف سوط، فلم يتأوه وقطع أطرافه، ثم حز رأسه وأحرق جثته ونصب رأسه على الجسر وذلك في سنة ٣٠٩هـ.

الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة في عصر الغيبة الصغرى:

أ. الوضع الفكري:

لاشك أن الوضع الفكري للشيعة قد تحسن إلى حد كبير، وظهر فيهم علماء كبار في مختلف الفروع العلمية، ويعزى سبب ذلك إلى أن الشيعة واجهت غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) ولمسوا الحاجة أكثر من الأدوار السابقة إلى ضرورة الحفاظ على تراثهم الفكري المتمثل بروايات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام)ولهذا السبب فقد صنفوا كتباً قيمة طيلة ٧٠ عاماً من عصر الغيبة الصغرى.

وكانت قم والكوفة مركزين مهمين من مراكز العلم والحديث الشيعي في ذلك العصر، وقد تخرج منهما علماء كبار كالأشعري والحميري وابن بابويه وفرات بن إبراهيم وأحمد بن محمد بن خالد البرقي.

ب. الوضع السياسي:

كانت الشيعة في بغداد (مركز الخلافة العباسية) في عصر الغيبة الصغرى تفتقد لقاعدة سياسية، إذ كان الحكم بيد بني العباس وكانوا يشعرون بخطر آل أبي طالب عليهم لاسيما آل علي(عليهم السلام) وشيعته.

ولم يكن هذا الشعور بالخطر على وتيرة واحدة، بل انتابته حالات من الشدة والضعف، وقد بلغ عداء الشيعة أوجه في زمن خلافة المعتضد العباسي (٢٧٩ - ٢٨٩هـ)، فقد سادت طيلة السنوات العشر من خلافته أجواء الكبت والطغيان ضد الشيعة بنحو لم يسبق له مثيل وكان الأمر -حسب تعبير الشيخ الطوسي- حاداً والسيف يقطر دماً.

إلا أن هذا الوضع تغير إلى حد ما في زمن خلافة المقتدر العباسي (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) وكان انعطاف السياسة في بعض الموارد إلى جانب الشيعة، حيث تمكنت من النفوذ في جهاز الخلافة والمناصب الحساسة.

هذه التغيرات بدأت تطرأ مع نفوذ بني فرات الشيعة في جهاز الخلافة.

وقد شهدت الاجواء خلال سني وزارته انفراجاً نسبياً للشيعة، أتاح لهم نشر الفكري الشيعي.

وقد تزامن هذا الدور مع سفارة الحسين بن روح، الذي وجد الفرصة سانحة له لإدارة منظومة الوكالة السري، وكان للحسين بن روح مقام اجتماعي وسياسي متميز زمن ابن فرات، وقد استغل هذه الفرصة لتحسين وضع الشيعة.

ج. الوضع الاجتماعي:

تمتعت الشيعة بنفوذ اجتماعي واسع في مركز الخلافة العباسية وفي سائر المناطق الخاضعة للخلافة، وبالرغم من هذا النفوذ الواسع إلا أنه مرت على الشيعة محن ومصائب للأسباب التالية:

١. السياسة المعادية للشيعة التي اتبعها الخلفاء العباسيون.

٢. غلبة المذهب الأشعري على العدلية (المعتزلة والشيعة).

٣. نسبة جرائم القرامطة والزنوج إلى الشيعة من خلال الإعلام المعادي، فعندما هاجم القرامطة قوافل الحجاج عام ٣١١هـ، وارتكبوا أبشع الجرائم بحقهم، حاول الإعلام المضلل إلصاق ما ارتكب بالشيعة، مما أدى إلى إثارة أهل بغداد على علي بن فرات الوزير الشيعي رافعين شعارات منددة، الأمر الذي أفضى إلى خلع ابن فرات وابنه من الوزارة، ثم اعتقالهما ومحاكمتهما وإعدامهما.

وفي هذا السياق تم إلقاء القبض على الحسين بن روح ثالث نائب للإمام المهدي(عليه السلام) وإيداعه بالسجن.

أما في المناطق المستقلة التي لم تخضع للحكومة العباسية، أو التي تتمتع بحكم ذاتي خاصة في المناطق التي أعلن فيها تشكيل حكومة شيعية فقد تحسن الوضع الاجتماعي للشيعة إلى حد كبير.

الدرس الثاني عشر

عصر الغيبة الكبرى

المقدمة

اخذت الشيعة منذ اوائل القرن الرابع وحتى اواخر القرن الخامس تتنفس الصعداء مع ظهور دول شيعية ولم تواجه ضغوطا تذكر في القرنين :السادس والسابع اللذين شهدا حملة المغول على العالم الاسلامي واستمرار الحروب الصليبية.

وازداد نفوذ الشيعة في القرنين الثامن والتاسع نظرا لتشيع بعض سلاطين المغول .

وفي مطلع القرن العاشر،تم اعلان المذهب الشيعي مذهبا رسميا للبلاد من قبل الدولة الصفوية،وظل كذلك مع توالي دول اخرى.

مرور على بعض مسائل عصر الغيبة الكبرى:

حل عصر الغيبة الكبرى بعد صدور التوقيع من جانب الإمام المهدي(عليه السلام) معلنا فيه انتهاء امد الغيبة الصغرى بوفاة سفيره الرابع

السمري،ومع بدء هذا العصر دخلت الشيعة مرحلة جديدة من تاريخها.

وقد تقدم الكلام عن هذا التوقيع في الفصل الماضي، ونستعرض في هذا الفصل اهم المباحث المطروحة في هذا الدور بنحو الايجاز،وهي:

١. تاريخ الشيعة ..الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى.

٢. الجهاد العقائدي والسياسي لعلماء الشيعة في هذا العصر.

٣. مدعو المهدوية في عصر الغيبة الصغرى والكبرى.

١. تاريخ الشيعة..الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى:

ان ثورات العلويين ضد فساد وظلم بني العباس قد زعزعت اركان الحكم العباسي ومهدت السبيل لظهور دولة شيعية،تمتعت فيها الشيعة بمزيد من الحرية في نشر عقائدها.

وفي القرن الرابع الهجري انتشر التشيع في كافة اصقاع العالم الاسلامي، واتسعت رقعته اكثر في القرون الخمسة التي تلته (من الخامس إلى التاسع الهجري) وظهرت دول شيعية رافقتها حوادث مهمة .

وبصورة عامة اخذ عدد الشيعة بالتزايد في القرون الخمسة المذكورة،وراح نفوذها يتعاظم،وقد ارتبط ذلك إلى حد كبير بالحكومات وقدرة السلاطين،وبرغم ذلك إلا انه لم يعلن عن رسمية المذهب الشيعي في اية بقعة من البقاع الاسلامية.

٢. الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى:

بدأت الحركات الشيعية نشاطها منذ أن طرأ الانحراف على قيادة الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، رافعة لواء الجهاد ضد الكفر والطاغوت بإرشاد من أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، ودامت منذ عصر الغيبة الكبرى وحتى العصر الحاضر بعد أن قطعت شوطاً بعيداً من جهادها في مواجهة التحديات، وتمكنت من إبلاغ رسالتها إلى العالم، كما واجهت الكثير من الحركات الشيعية في العراق والحجاز جور الخلفاء وتمكنت من تأسيس دول في شرق مركز الخلافة وغربها، ولم تتقاعس عن الجهاد قط، رافعة شعار العدالة والإمامة باعتبارهما أبرز العناوين المطروحة في رسالة الوحي، وقد مارست جهاد ضد كافة ألوان الظلم والجور حتى تحقيق هذين الأصلين اللذين هما جزء لا يتجزأ من الإيمان.

فقد فتح إدريس بن الحسن المثنى بلاد المغرب من خلال التبليغ، وهكذا الحال في اندونيسيا الواقعة في الشرق الأقصى للعالم الإسلامي، وفي القرن الخامس للهجرة اعتنق جمع غفير من الهنود

الإسلام على يد اثنين من الشيعة بينما قام العباسيون بفتوحات طيلة ٣٠٠ سنة ودعوا إلى الإسلام كذباً وزيفاً وتحت وطأة السيوف.

وقد بثت النهضات الشيعية روح الحماسة في كل أرجاء العالم وبالرغم من الإخفاقات المتواصلة في القرون الثلاثة الأولى إلا أنها تمكنت من الحصول على نتائج باهرة منذ منتصف القرن الثالث وما بعده تمثلت في تأسيس دول في العالم الاسلامي، وبذلك سطعت بارقة أمل على القلوب اليائسة، اذ كبلت أيدي حكام الجور عن ممارسة المزيد من الظلم والطغيان.

وقد جعلت هذه الدول الثقافة الاسلامية وتعاليم أئمة أهل البيت(عليهم السلام) اساس حكوماتهم، ومع انهم كانوا شيعة إلا انهم عاملوا أتباع سائر المذاهب معاملة حسنة ولم يبخلوا عليهم بالعطايا والاكرام، هذه الميزة عمت الدول الشيعية كافة.

وللسبب ذاته يعد القرن الرابع الهجري - وهو قرن الدول الشيعية - يعد العصر الذهبي للثقافة والحضارة الاسلامية في العالم الإسلامي حيث لا تنعم بحرية الفكر والعقيدة وتكريم العلم والعلماء إلا تحت ظلال الدول الشيعية، وتعد نموذجية هذه الدول ودوافع مؤسسيها من أهم عوامل تقدمها وتطورها كما أن الفساد التدريجي لحكامها والإبتعاد عن أهدافها من أهم عوامل اضمحلالها.

شـهد العـالم الإسـلامي في القـرنين: الـسادس والـسابع الهجـريين، سـقوط الدولـة العباسـية واضـمحلال نفوذهـا السياسي وتشكيل دول صغيرة متناحرة فيما بينها.

وفي عـام ٤٨٩هـ بـدأت الحـروب الـصليبية تجتـاح العـالم الإسلامي في وقت كان فيه مركز الخلافة يعج بألوان من اللهو والمجون وتكديس الأموال، وقد تزامنت مع حملة أخرى جارفة من الشرق هـي حملـة المغـول التي لم تستطع الحكومـة الإسـلامية درء خطرهـا الداهم فتهاوت أمامها وانهارت.

وإذا ظل الإسلام مرفوع الرأس في هـذا الخضم، فإنمـا يعـود فضل ذلك إلى جهود نفر من طليعة المفكرين مغموري الـذكر تمكنـوا مـن إخـضاع الفـاتحين المغـول لإرادة الإسـلام وجـذب قلـوبهم نحـوه والانصهار فيه.

واذا كان هولاكو قـد أمـر بإعـادة بنـاء مسجد الخليفـة ومرقـد الإمـام الكـاظم(عليه السلام) بعـد قتلـه لـ ٩٠٠ ألـف مـن الأبريـاء مـن أهـالي بغـداد، فإنمـا تم هـذا الأمـر بحنكـة وشـجاعة مؤيـد الـدين العلقمـي والخاجة نصير الدين الطوسي، وهما من أبـرز الشخـصيات الـشيعية آنذاك، وقد حازا على هذا الفخر رغم ما تعرضا له من كذب وإفتراء وتهم رخيصة.

وكان هدف الخواجه نصير الدين من وراء ذلك هو الحيلولة دون سفك المزيد من الدماء، وقد استطاع عبر نفوذه في مؤسسات المغول انقاذ العديد من علماء الإسلام من سطوتهم وسيوفهم.

كما صنف أكثر من ٦٠ كتاباً قيماً في علوم وفنون مختلفة، وانقذ عدة مدن من الدمار الشامل، وتمكن من كبح لجام ألد أعداء الإسلام، بل جعلهم ينقادون للإسلام والإيمان وشعائر التشيع.

وببركة النهضة لعلماء الشيعة أعيد الدين الذي سحق تحت وطأة المغول إلى قلوب الفاتحين المغول، بل ونشره بزخم هائل.

وقد شهد القرنان: الثامن والتاسع وصول حركات في شمال وشرق إيران إلى سدة الحكم.

وقد تعززت العلاقات بين النهضات الإسلامية في كافة أرجاء العالم الإسلامي في القرن الأخير، وقد انبثقت عن تلك النهضات صحوة إسلامية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري عمت معظم الأقطار كمصر وسورية ولبنان والعراق وتركيا وافغانستان وباكستان والجزائر وتونس والمغرب والحجاز واندونيسيا والهند وإيران، وطرحت مفهوماً جديداً لأفكار الإسلام السياسية وأصول العدالة الاجتماعية عقب قرون من الركود والخضوع والخنوع.

٢. الجهاد الفكري والسياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى:

كان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد تولى زمام الهداية الفكرية والدينية، وانتقل بعد وفاته إلى أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، ثم إلى العلماء الجامعين للشرائط في عصر الغيبة، وهم يتحملون مسؤولية إقامة هذين الركنين، أي: الإمامة والمرجعية، وبعبارة أخرى تزعم الهداية الدينية والفكرية والسياسية للمجتمع، واليك شرح هذين الركنين:

الجهاد الفكري لعلماء الشيعة في عصر الغيبة:

وخير ما قيل حول دور علماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى هو ما قاله العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، فبعد أن ذكر منهج الشيعة في العلوم الإسلامية -وكان بحثاً فريداً من نوعه- تطرق إلى الجهود التي بذلتها الشيعة في سبيل تقدم العلوم الإسلامية والتي تكللت بالنجاح، قائلاً: "لقد استحوذ الحديث والكلام والفقه على اهتمام الشيعة نظراً لدخولها مع خصومها في سجال علمي ومذهبي متواصل في تلك العلوم، وحاجتها الملحة إليها في الحياة العملية، وقد بلغت تلك العلوم على يدها الذروة، وهكذا الحال فيما يمت إليها بصلة وعلى وجه التحديد الدراية والرجال والأصول، كما دونوا ما استجد منها في كتبهم وساروا على هذا المنوال قرون متمادية".

ونرى من المناسب هنا الإشارة ولو على نحو الإيجاز إلى الجهاد الفكري لعلماء الشيعة والى الفقه الشيعي ومراحله ومراكزه.

١. الفقه الشيعي ومراحله:

يعد الفقه من أهم العلوم الإسلامية وهو الركن الأساسي الذي تقوم عليه المرجعية الشيعية، ولهذا السبب فقد ظل يأخذ منحى تصاعدياً ويقطع اشواطاً بعيدة من التكامل.

أ. الفقه في عهد الأئمة(عليهم السلام):

وتبدأ هذه المرحلة من إمامة علي بن أبي طالب(عليه السلام) وحتى استشهاد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، ونظراً للصبغة الثقافية للنهضة الإسلامية والتزام أهل البيت(عليهم السلام) بالحفاظ على الشريعة الإسلامية.

لقد وضعت في عهد أئمة أهل البيت(عليهم السلام) اللبنات الأولى لمدرسة فكرية تنتهج خطهم(عليهم السلام) بغية الحفاظ على المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وقد سقوا بذرتها من نمير علومهم لتنضج في عصر الغيبة.

وتتلخص العناصر الأساسية لهذه المدرسة في ثلاثة، هي:

١. المواد العلمية والفكرية.

٢. أسلوب التعليم والتربية، التحقيق والتكامل.

٣. إعداد شخصيات فذة.

فمعلمو هذه المدرسة هم الأئمة المعصومون(عليهم السلام) وتلامذتها شخصيات كبيرة، أمثال: (أبان بن تغلب)، و (أبي حمزة الثمالي)،و(محمد بن مسلم الطائفي)،و(زرارة بن اعين)،و(جميل بن دراج النخعي)،و(يونس بن عبد الرحمن) وغيرهم والعلوم التي تدرس فيها،هي التفسير والفقه والاصول وسائر المعارف الاسلامية التي نقلها الرواة والاصحاب عن الائمة(عليهم السلام) والتي دونوها وضبطوها في كتبهم بارشاد منهم(عليهم السلام).

ب. الفقه في عهد الغيبة الصغرى:

في هذا الدور تعرضت الشيعة لمختلف المحن والضغوط،كما تلفت الكثير من كتبهم الحديثية،وقد بلغت جهود حثيثة لجمع الكتب الحديثية،واول مجموعة حديثية صدرت للشيعة هي كتاب الكافي لثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني،حيث نقل فيه عن ائمة اهل البيت(عليهم السلام) ما يعادل اربعة اضعاف احاديث الصحاح الستة لاهل السنة.

اتاح لهم فرصة الجلوس على كرسي الكلام والفقه في بغداد ، وقد انثالت عليهم وفود الطلاب من سائر المذاهب ، ورغب في مجلسهم كل محب للمعرفة، تواق اليها.

ومن الواضح ان هذا الوضع لم يدم طويلا، فان الفتن والاضطرابات السياسية اجبرت الشيخ الطوسي على الهجرة إلى مدينة النجف الاشرف التي تحولت إلى مركز علمي وفكري وفقهي مهم للشيعة فيما بعد

وقد عهدت إلى المرجعية الدينية في ذلك العصر مهمة الادارة العلمية والمالية لمؤسسات التعليم الشيعية وتعيين الوكلاء والقضاة إلى جانب الافتاء والاجابة عن الاستفسارات التي ترد .

ومازال الفقه الشيعي في العصر الحاضر يواصل منهج الشيخ المفيد بخطوات حثيثة وحيوية وازدهار.

١. الحوزات العلمية ومراكز الفقه الشيعي في عصر الغيبة الكبرى:

كانت بغداد مركزاً فقهياً في بداية الغيبة الكبرى، ثم انتقل إلى النجف الاشرف عام ٤٤٨هـ بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها.

وبرزت حلب -إلى جانب النجف- كمركز فقهي بفضل الجهود التي بذلها سلار وهو من تلامذة السيد المرتضى، واستمر

ناهيك عن ذلك فقد قام بتعيين طبقاة الرواة ومدى اعتبارهم،لمد الفقهاء بمعلومات دقيقة عنهم،تتاكد الحاجة اليها كلما ابتعدنا عن عصر حضور الإمام(عليه السلام) وقد تم أيضاً اعداد فهارس لتثبيت وظبط مدونات اصحاب الائمة(عليهم السلام)،وانشاء مدارس ومراكز علمية،دخل الفقه على اثرها مرحلة الاستدلال والاستنباط،ومن اهم تلك المراكز:

١.مدرسة بغداد الفقهية للمتكلمين واتباع المنهج العقلي .

٢.مدرسة قم الفقهية لرواة الحديث.

ج. الفقه في عهد الغيبة الكبرى:

ظهرت في هذا الدور مدرسة الشيخ المفيد واخذت سيرا تصاعديا منذ عهد الغيبة الكبرى وحتى يومنا هذا،وازدادت نضجا وتكاملا وعطاء.

وخلف الشيخ المفيد تلميذاه السيد المرتضى والشيخ الطوسي اللذان أسسا مدرسة الفقهاء الاصولية ،وقد ادخل الشيخ الطوسي الفقه مرحلة جديدة بفضل الافكار البكر التي لم يسبقه اليها احد، وترك تصانيف علمية قيمة في مختلف الاصعدة.

كما تمكن الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي من اخراج المرجعية الشيعية من الانزواء والعزلة، وكان لهم القدح المعلى في الاحاطة بالفقه والكلام والتفسير والمباني العلمية لاهل السنة، مما

نشاطها حتى منتصف القرن الثامن، ومن أبرز فقهائها السيد (أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة) المتوفى عام ٥٨٥هـ صاحب كتاب ((الغنية)).

وبعد الحركة العلمية في حوزة النجف عقب قرن من الزمن، بزغت نهضة فقهية في الحلة على يد (ابن أدريس الحلي) حيث انتقلت الحوزة العلمية إليها، وظهر فيها فقهاء كبار أمثال: (المحقق الحلي)، (والعلامة الحلي)، اللذين أسسا دعائم مرحلة جديدة للفقه الشيعي بعد الشيخ الطوسي، ونقلا الفقه الشيعي من حالة الركود إلى حالة النشاط والفاعلية والتكامل العلمي، وبذلك كتبا البقاء للنهج الذي اختطه الشيخ المفيد.

ثم انتقل مركز الفقه الشيعي من الحلة إلى بلاد جبل عامل والشام، ومن أعلامها (الشهيد الأول) تلميذ (فخر المحققين) نجل العلامة الحلي، و(الشهيد الثاني)، ودام المنهج الفقهي للشيخ المفيد في مدرسة جبل عامل التي جمعت مزايا مدرسة بغداد والنجف والحلة بفاعلية ونشاط، فقد كان لفقهاء جبل عامل، كـ (المحقق الكركي) و (الشيخ البهائي) فضل كبير علي شيعة إيران.

وقد تزامن ذلك مع إحياء حوزة النجف على يد (المحقق الأردبيلي) وسائر الفقهاء، وما زالت تواصل نشاطها حتى يومنا هذا.

وكانت بلدة قم مركزاً فقهياً اشتهر -الى جانب بغداد- في القرون الأولى، ومن أبرز فقهائها (ابن بابويه) و (محمد بن قولويه)،

كما أعيد احياؤها مرة ثانية في عهد القاجارية على يد (الميرزا أبو القاسم القمي) صاحب (القوانين)، وثالثة عام ١٣٤٠هـ على يد الشيخ (عبد الكريم الحائري اليزدي).

وتعد النجف وقم الآن مركزين فقهيين كبيرين للشيعة.

على الرغم من ذلك احتضنت النجف علماء كبار جعلها الشريان الذي يغذي العالم الاسلامي الذي لا ينضب وهي اليوم مركز التشيع في العالم ومركز خلافة أمير المؤمنين(عليه السلام) في الماضي وحاكمية الإمام المهدي(عليه السلام) في المستقبل.

٢. الجهاد السياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى:

يمكن ان نلخص الجهاد السياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى، بما يلي:

الأول: خلفيات النشاط السياسي.

الثاني: مراحل النشاط السياسي.

الأول: خلفيات النشاط السياسي

ففي داخل إطار حدود الدولة الإسلامية، وتتلخص في مقارعة الاستبداد السياسي للحكام المسلمين وغير المسلمين، عبر النشاطات التالية:

١. دعوة الأمة الإسلامية والشيعة إلى المشاركة في المسرح السياسي عن طريق الإرشاد والتبليغ، والمطالبة بالحقوق المسلوبة عن الأمة الإسلامية.

٢. الحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع والأصالة الفكرية للمسلمين من خلال إعداد واعين ومحققين، ونشر العلم والمعرفة، وتأسيس الحوزات العلمية في سائر نقاط العالم الإسلامي.

٣. مواجهة الانحرافات الفكرية والأخلاقية التي تعمل على تبرير سياسة الحكام الظلمة.

الثاني: مراحل النشاط السياسي

لقد اجتازت الشيعة طيلة أربعة عشر قرناً من الجهاد السياسي المتواصل من أجل سيادة الإسلام واستقرار نظامه، اجتازت مراحل هي:

الاولى: مرحلة التقية.

الثانية: مرحلة الجهاد العلني.

٣. مدعو المهدوية والبابية:

المهدوية بمعنى ادعاء شخص أنه المهدي الموعود والإمام المنتظر والبابية لغة البواب والحاجب، واصطلاحاً السفير والوكيل والنائب الخاص للإمام المهدي.

وطبقا لعقائد المذهب الشيعي الإمامي، والروايات العديدة من صحاح أهل السنة فإن في آخر الزمان سيظهر المهدي من آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، نظير ما روي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جورا".

وقال أيضاً: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي...".

وقد بلغت الروايات الواردة حول المهدي الموعود على لسان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام) في كتب الفريقين من الكثرة بحيث تعذر إنكارها أو التشكيك فيها.

وقادت كثرة الروايات الواردة حول المهدي(عليه السلام) عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة الطاهرة(عليهم السلام) إلى اعتقاد كافة المذاهب الإسلامية بهذه الحقيقة.

وقد بينت الروايات خصوصيات المهدي الموعود وأنه نجل الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وصاحب الغيبتين الصغرى والكبرى.

لكن بعض الفرق والمذاهب الإسلامية أساءت استغلال هذه العقيدة من خلال تطبيق فكرة المهدي الموعود على شخص معين من نحلتهم أو ادعاء المهدوية كذباً وزوراً من قبل بعض من سولت لهم أنفسهم ذلك، كما الصق بعض الجهال المهدوية بعظماء، أمثال:

١. محمد بن الحنفية نجل الإمام علي(عليه السلام).

٢. محمد بن عبد الله بن الحسن نجل الإمام الحسين(عليه السلام).

٣. زيد بن علي بن الحسين نجل الإمام السجاد(عليه السلام).

٤. الإمام جعفر الصادق(عليه السلام).

٥. الإمام موسى الكاظم(عليه السلام).

٦. إسماعيل بن جعفر النجل الآخر للإمام الصادق(عليه السلام).

٧. الإمام الحسن العسكري(عليه السلام).

وقد ادعى بعض الطغاة، كالمهدي العباسي وأبي مسلم الخراساني وغيرهم المهدوية.

وهذا الإدعاء نفسه صدر من بعض المحتالين، وسوف نكتفي بالإشارة إلى أسماء بعضهم ونحيل التفصيل إلى الكتب المختصة بهذا الموضوع.

١. عبيد الله بن محمد الفاطمي (٢٥٩ - ٣٢٢هـ).

٢. الحاكم بأمر الله، من الخلفاء الفاطميين في مصر ٣٨٦هـ.

٣. محمد بن تومرت (٤٨٥ - ٥٢٤هـ).

٤. التهامي ١١٥٩هـ.

٥. بابا إسحاق ٦٣٧هـ

٦. عباس الريفي (٦٩٠ - ٧٠٠هـ).

٧. المهدي السوداني (١٢٦٠ - ١٣٠٤هـ).

٨. المرزا محمد علي باب (١٢٣٥ - ١٢٦٦هـ).

٩. المرزا غلام أحمد القادياني (١٢٥٥ - ١٣٢٦هـ).

الدرس الثالث عشر

سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) وآثاره

المقدمة

وردت أخبار كثيرة عن سيرة الإمام(عليه السلام) وآثاره.

وسيرة الإمام المهدي(عليه السلام) جديرة بالاهتمام من زاويتين: عصر الغيبة وعصر الظهور.

فالإمام في عصر الغيبة له حضور بين الناس ومعرفة باحوالهم، ينقذهم اذا اقتضت الحاجة، وله في عصر الحضور سيرة تربوية وأخلاقية وإدارية، ولابد من العناية بها باعتبارها أسوة حسنة ومثلاً أعلى يقتدى به.

وقد ترك الإمام آثاراً متعددة رغم المضايقات الكثيرة التي تعرض لها، ومن جملة هذه الآثار: الادعية والتوقيعات التي تحتوي على مطالب عميقة جديرة بالعناية.

سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) وآثاره:

يمكن استخلاص موضوعات متعددة من سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) وآثاره، ونشير إليها بنحو موجز تحت عنوان ((ختامه مسك)).

١. سيرته:

يمكن مطالعة سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) وسلوكه من جهتين: الأولى في عصر الغيبة والثانية في عصر الظهور، ويمكن أن تكون هذه السيرة نموذجاً جيداً، فمن المناسب الإشارة إليها.

أ. عصر الغيبة:

ثمة مهام للإمام منها الإمامة والهداية، والحفاظ على المسلمين والشيعة وتوفير الأرضية الخصبة للثورة العالمية، وقد قام الإمام بهذه المهام على أحسن وجه، أما غيرها من المهام التي يتوهم أنها لا تنسجم مع الغيبة فقد كانت محط اهتمام الإمام(عليه السلام) فهو كما ورد في الحديث: "الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيبها عن الأبصار السحاب".

يطلق عادة على الإمام بالغائب، لأنه ليس بظاهر، لا أنه ليس بحاضر فالغيبة بمعنى عدم الحضور تهمة رخيصة توجه إليه(عليه السلام) بزعم غياب أي فرق بين الظهور والحضور، ومجيء الإمام(عليه السلام) بمعنى

الظهور لا الحضور، وأتباعه يطلبون من الله ظهوره لا حضوره وحينما يظهر تعض الأصابع من الحيرة والتعجب نظراً لمشاهدته في أوساطهم من ذي قبل.

ويمكن من أجل الإطلاع على سيرة الإمام(عليه السلام) في عصر الغيبة الرجوع إلى بعض الروايات والأدعية والزيارات والتوقيعات والكتب التي كتبها إلى بعض الشيعة أو إلى الأخبار المنقولة بشكل متواتر عن أشخاص موثوق بهم تشرفوا برؤيته.

والشيء البارز في كل هذه الأدعية والتوقيعات هو العناية الخاصة للإمام(عليه السلام) بشيعته والمصائب التي حلت بهم في عصر الغيبة وإليك بعض النكات المستخلصة من هذه النصوص:

١. الإطلاع على أحوال الشيعة وأوضاعهم:

جاء في التوقيع الوارد عن الشيخ المفيد: "فإنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم".

٢. إنقاذ الشيعة من المحن وشر الأعداء:

وورد في التوقيع نفسه: "إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء وأصطلمكم الأعداء".

ومن جملة هذه الموارد إنقاذ أهل البحرين من يد عملاء الاعداء، حيث طرح رئيس الوزراء خطة يعامل بموجبها الشيعة

ككفار حرب من أهل الكتاب، فأما إن يدفعوا الجزية وهم صاغرون، وأما أن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وأطفالهم، وكان للإمام(عليه السلام) دور هام في إجهاض هذه الخطة المشؤومة.

٣. حضور الإمام في أوساط الناس:

ان يكون صاحبكم المظلوم، المجحود حقه، صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه...

وقد ورد في حديث عن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه قال: "فو رب علي أن حجتها عليها قائمة، ماشية في طرقاتها، داخلة في دورها وقصورها، جوالة في شرق الأرض وغربها، تسمع الكلام وتسلم على الجماعة، ترى و...".

٤. الحضور الدائم في مراسم الحج:

"يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه".

٥ و ٦. من جملة الأعمال التي يقوم بها الإمام(عليه السلام) في عصر الغيبة:

هي مساعدة المحتاجين وإرشاد الضالين وشفاء المصابين بأمراض مستعصية، والنصيحة والدعاء للمؤمنين، والمشاركة في مراسم تشييع بعضهم، وحل المشاكل العلمية العويصة، التنبؤ بوقوع بعض الحوادث المهمة، وإرشاد الأفراد باطناً، كل هذا سواء عرف أم لم يعرف، وسواء قام بها مباشرة أو من قبل بعض الخواص.

ب. عصر الظهور:

١. السيرة التربوية والاخلاقية:

إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم"، "تؤتون الحكمة في زمانه"، "يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه والولاية لعلي بن أبي طالب والبراءة من عدوه"، "وفي أيام دولته تطيب الدنيا وأهلها".

٢. السيرة الاجتماعية:

"يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً"، " فيريكم كيف عدل السيرة"، "ويذهب الزنى وشرب الخمر ويذهب الربا، ويقبل الناس على العبادات وتؤدى الأمانات، وتهلك الأشرار وتبقى

الأخيار" "أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم، كما يدخل الحر والقر".

٣. السيرة السياسية:

"إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل"، "إذا قام القائم لا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله"، "ليس شأنه إلا السيف"، "اللهم نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله".

٤. السيرة الاقتصادية:

"تنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتى الأرض أكلها ولا تدخر منهم شيئاً والمال يومئذ كدوس، يقول الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول خذ..."، "ويذهب الربا".

٥. السيرة العلمية:

"العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى لايوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً"، "...ولأسخرن له الرياح، ولأذللن له الرقاب الصعاب ولأرقينه في الأسباب".

٦. السيرة القضائية:

"يقضي بقضاء داود وسليمان لا يسأل بينة"، "...يحكم بين أهل التوراة بالتوارة وبين أهل الإنجيل بالانجيل وبين أهل الزبور بالزبور وبين أهل القرآن بالقرآن".

٧. سيرة إحياء السنن:

"ويحيي ميت الكتاب والسنة"، "سيميت الله به كل بدعة ويمحو كل ضلالة ويحيي كل سنة"

٨. السيرة النبوية والعلوية:

"يسير فيهم بسيرة رسول الله ويعمل بينهم بعمله"، "يسير بسيرة رسول الله ولا يعيش إلا عيش أمير المؤمنين"، "المهدي يقفو أثري لا يخطيء".

٩. السيرة الذاتية:

"فوالله ما لباسه إلا الغليظ ولا طعامه إلا الجشب"، "ويشترط على نفسه لهم: أن يمشي حيث يمشون ويلبس كما يلبسون، ويركب كما يركبون، ويكون من حيث يريدون ويرضى بالقليل ويملأ الأرض بعون الله عدلاً كما ملت جوراً، يعبد الله حق عبادته، ولا يأخذ حاجباً ولا بواباً"

١٠. السيرة الإدارية:

"يكون من الله على حذو لا يغتر بقرابةٍ، ولا يضع حجراً على حجر" "المهدي سمح بالمال، شديد على العمال، رحيم بالمساكين"، "يفرق المهدي أصحابه في جميع البلدان ويأمرهم بالعدل والإحسان ويجعلهم حكاماً في الأقاليم ويأمرهم بعمران المدن"، "فيستشير المهدي أصحابه" "يعطف الهوى على الهدى، إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي... يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوىء أعمالها... فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة".

٢. الآثار:

رغم الحضور المحدود والفترة القصيرة التي قضاها الإمام(عليه السلام) في كنف أبيه، والمضايقات الكثيرة التي تعرض لها في عصر الغيبة، فلا ينبغي أن نتوقع مطالب كثيرة عن الإمام(عليه السلام) ورغم كل ذلك فثمة آثار محدودة خلفها، تعد بعضها في غاية الأهمية فمن آثاره:

١. الروايات والاحتجاجات:

هذه الروايات تعود إلى الفترة القصيرة التي قضاها في حجر أبيه(عليه السلام).

٢. الأدعية والصلوات:

الدعاء هو علاقة حب عميق بين الإنسان وربه، وفي الأدعية التي وصلتنا عنه، طرحت مضامين رفيعة ومتعددة، مضامين نظير: معرفة الله، والمقام الشامخ لأهل البيت(عليهم السلام)، ومقام صاحب الزمان(عليه السلام) والقيامة، وانتظار الفرج، ووظائف المؤمنين في عصر الانتظار، وانتصار الحق على الباطل، والصبر على الشدائد ورفع المصائب عن المؤمنين، والدعاء في حق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة(عليهم السلام)، وقضاء الحوائج، والعديد من المسائل الأخلاقية، وقد نقلت عنه صلوات عديدة إلى جانب الأدعية.

٣. الزيارات:

ثمرة الزيارة هي معرفة الإمام، وتوثيق العلاقة بين الإنسان والإمام(عليه السلام)، وقد نسب للإمام(عليه السلام) في الزيارات معارف رفيعة لمعرفة الإمام، وشأنه ورتبته ووظائفه وواجبات المؤمنين تجاه بعضهم البعض، وأيضاً ورد فيها بعض الحقائق وتاريخ الأئمة(عليهم السلام).

٤. التوقيعات:

كتب الإمام(عليه السلام) توقيعات عديدة لبعض نوابه الخاصين (النواب الأربعة)، أو نوابه العامين (كالشيخ المفيد) أو بعض اتباعه وعدد من هذه التوقيعات كان أجوبة للاستفسارات، وبعضها صدر

عن الإمام بمبادرة منه، وتضم هذه الكتب مسائل متعددة ومختلفة مثل: الأسئلة والأجوبة الفقهية، ودور الإمام في عصر الغيبة، وبعض التحذيرات والتنبؤات، وتأييد أو تكذيب بعض الأشخاص، ووظائف المنتظرين ومرجعية الفقهاء في عصر الغيبة و...

وقد خلف الإمام(عليه السلام) -إضافة إلى التوقيعات- كلمات متعددة في مسائل مختلفة، نقلها الذين تشرفوا برؤيته، وقد نقل محمد بن عثمان العمري (ثاني سفير للإمام)، إنه قال(عليه السلام): "آخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: اللهم انجز لي ما وعدتني ورأيته متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار، وهو يقول: اللهم انتقم بي من أعدائك".

الدرس الرابع عشر

إلى من الرجوع

المقدمة

وقد نسأل أنفسنا إلى من نرجع لنأخذ منه التوجيه والإرشاد في عصر الغيبة والجواب أن الأئمة(عليهم السلام) قد وضعوا شروط ومواصفات لهذا الشخص ليكون قدوة للأمة، فالإمام العسكري(عليه السلام) نقل عنه انه قال: "فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام ان يقلدوه".

الاساس الذي رسمه أهل البيت(عليهم السلام) للرجوع إلى الفقهاء:

ان الإمام الهادي(عليه السلام) أشار إلى الدور البارز الذي يقوم به العلماء في أصلاح الأمة بقوله: "لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون ازمة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل.

وهذا هو الأساس الذي رسمه أئمة أهل البيت(عليهم السلام) لتوجيه الناس للرجوع إلى الفقهاء وتقليدهم وأخذ معالم الدين عنهم، ويعد مبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإمامية قدرة هذا المذهب المؤيد في الحفاظ على روح التشريع وحيوية الرسالة الإسلامية بعد غيبة الإمام المعصوم(عليه السلام) إلى اليوم الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن تملأ جوراً وظلماً.

والإمام المهدي(عليه السلام) في فترة الغيبة الكبرى في رعاية مستمرة لمسيرة الأمة الإسلامية وتأهيلها لظهوره المبارك والقيام بالمهمة الكبرى وهي إنهاء الظلم والجور وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كل أرجاء الأرض.

يقول الإمام المهدي(عليه السلام) في رسالته الأولى للشيخ المفيد: "فانا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء".

إن الإمام(عليه السلام) يتابع أوضاع المؤمنين ويحيط علما بالتطورات التي تحصل لهم ومحاولات الاستئصال والإبادة التي يتعرضون لها ويتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها وحسب ما تقتضيه المصلحة، وهذه الرعاية العظيمة هي أحد العوامل

الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) واستمرار وجودهم وتناميه على مدى الأجيال على الرغم من شدة الحملات التي تعرضوا لها والتصفية التي مورست ضدهم ويثبت ذلك من خلال تصفح التأريخ لترى بوضوح الظلم الذي وقع عليهم.

حفظ الاسلام الصحيح:

إن الإمام المهدي(عليه السلام) يقوم أيضاً في غيبته الكبرى بحفظ الإسلام النقي الصحيح الذي يحمله مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، وهذه المهمة من المهام الرئيسة، ومن علامات قيامه(عليه السلام) بهذا العمل هو تسديد الفقهاء (جامعي الشرائط) ومنع إجماعهم على باطل بطريقة أو بأخرى، وإمام الزمان(عليه السلام) وان كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم يشاهد أحوالهم ويعلم أخبارهم، وهناك رواية عن الأئمة(عليهم السلام) تقول: "ان الأرض لا تخلو إلا وفيها عالم إذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم إلى الحق وإن نقصوا شيئاً تمم ذلك ولولا ذلك لإلتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحق والباطل".

فالفقهاء العدول (رحم الله الماضين وحفظ الباقين) يمثلون في الواقع واسطة بين الأمة والإمام(عليه السلام).

ما هو تكليفنا في عصر الغيبة:

اهتمت الأحاديث الشريفة بقضية تكاليف عصر الغيبة بأمور منها:

أولاً: ترسيخ المعرفة بإمام العصر(عليه السلام) وغيبته وحتمية ظهوره وأنه حي يراقب الأمور ويطلع على أعمال الناس وأوضاعهم وينتظر توفر الشروط اللازمة لظهوره المبارك، فإن لهذه المعرفة تأثيراً مشهوداً في دفع الإنسان المسلم نحو العمل الإصلاحي.

ثانياً: تمتين الارتباط بالإمام المهدي والتفاعل مع أهدافه السامية والدفاع عنها والشعور العميق بقيادته الإصلاحية المباركة، والدعاء له بالحفظ والنصرة وتعجيل فرجه وظهوره والتصدق عنه والاستمرار على زيارته.

ثالثاً: إحياء منهج أهل البيت(عليهم السلام) الذي يمثله الإمام المهدي(عليه السلام) ويعني ذلك العمل بتعاليم الإسلام النقي الذي دافعوا عنه ونشر أفكارهم والتعريف بمظلوميتهم وموالاتهم والبراءة من أعدائهم والعمل بوصاياهم.

رابعاً: الرجوع إلى الفقهاء العدول الذين جعلوهم الأئمة(عليهم السلام) حجة على الناس، وعدم الرجوع إلى الطواغيت والاستعانة على ذلك بالله جل شأنه.

محاربة البدع:

ينفي الإمام المهدي(عليه السلام) عن الدين التحريفات بصورة كاملة ويزيل كل البدع التي ورثها المسلمون من قرون الابتعاد عن الثقلين والسنة النبوية النقية وتعطيلها، ليمحوا الله به البدع كلها ويميت الفتن ويفتح الله به باب كل حق ويغلق باب كل باطل.

ويختار الإمام(عليه السلام) لحكم الأرض ولاة هم خيرة أصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالي الإسلامي من العلم والفقه والشجاعة والنزاهة والإخلاص، وهو مع ذلك متابع لأمورهم وطريقة قيامهم بمهامهم ويحاسبهم بشدة.

اللهم طال الانتظار، وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتصار فعجل لوليك بالظهور ومحاربة اهل الفجور، أنك قريب مجيب.

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا برحمتك يا أرحم الراحمين.

تم بعون الله في ليلة النصف من شعبان ١٤٣٠ هـ

الفهرست

ت	العنوان	رقم الصفحة
١	الإهداء	٢
٢	المقدمة	٣
٣	الدرس الأول: المصادر التاريخية لعصر الغيبة	٥
٤	الدرس الثاني: نظرة إجمالية إلى سيرة الإمام(عليه السلام)	١٩
٥	الدرس الثالث: أسباب ودوافع الغيبة الصغرى	٣٤
٦	الدرس الرابع: الوضع الاجتماعي والفكري على مشارف الغيبة الصغرى	٥٠
٧	الدرس الخامس: الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة على مشارف عصر الغيبة	٦١
٨	الدرس السادس: تمهيد لدخول الشيعة عصر الغيبة	٧٦
٩	الدرس السابع: الوكالة والسير التكاملي	٩٢
١٠	الدرس الثامن: تاريخ عصر الغيبة (٢٦٠ - ٣٢٩هـ)	١٠٩
١١	الدرس التاسع: تاريخ الغيبة وبدايتها	١٢١
١٢	الدرس العاشر: النواب الأربعة	١٣٢
١٣	الدرس الحادي عشر: الوكلاء ومدعو النيابة كذباً	١٤٥
١٤	الدرس الثاني عشر: عصر الغيبة الكبرى	١٥٧

١٥	الدرس الثالث عشر: سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) وآثاره	١٧٤
١٦	الدرس الرابع عشر: إلى من الرجوع	١٨٤
١٧	الفهرست	١٨٩